منشئ المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الخامس   يوليو (تموز) ١٩١٣   السنة الرابعة

الرئيس بوانكاره

« في بلاد الانكليز »

ثلاثةٌ من رؤساء الجمهورية الفرنسوية زاروا عاصمة بريطانيا العظمى في السنوات العشر المنقضية :

زارها مسيو اميل لوبه سنة ١٩٠٣ ، وكانت الدولتان لا تزالان في مناظرةٍ شديدة ، فأُبرم في السنة التي تلت الاتفاقُ الانكليزي الفرنسوي الذي قلب سياسة العالم ، وغيَّر موقف دول اوروبا تجاه بعضها بعض

وزارها مسيو أرمان فاليير سنة ١٩٠٨ ، وكانت الدولتان العظيمتان قد ادركتا فوائد اتفاقهما ، وشعر العالم بنتيجة اتحادهما ؛ وجاء المعرض الانكليزي الفرنسوي الذي أُقيم في لندرا محكماً تلك الروابط الجديدة بين ابناء « السين » وأبناء « التاميز » .

وزارها مسيو ريمون پوانكاره في الشهر الفائت ، فبالغ الشعب

البريطاني في إكرامهِ والاحتفاء بهِ . وتجلَّى اتفاق فرنسا وانكلترا بابهى مجاليه ، وأسنى مظاهره

قال أحد كبار الساسة الانكليز منذ نصف قرنٍ « ما اتفقت فرنسا وانكلترا على أمرٍ ، إلاَّ وكان ذلك الأمر خير الانسانية وتأييد العدل »

والآن نسمع شعوباً كثيرة تئنُّ ، وأُمماً عديدة تشكو . ونرى من جهةٍ ثانية فرنسا وانكلترا متصاحبتين متفقتين . فهل يكون هذا الاتفاق لخير تلك الأمم الشاكية ، وإنصاف هاتيك الشعوب المظلومة . . ؟

هذا ما يرجوهُ المتعطشون الى العدل ، الراغبون في الحرية ، التائقون الى الحياة

*
* *

اكرمت بريطانيا العظمى في شخص زائرها الكريم دولة الحرية والمساواة والاخاء ، تلك الكلمات الثلاث التي ستعيّد لها الأمة الفرنسوية في الرابع عشر من هذا الشهر ، والتي تحاول كلُّ أُمَّةٍ من الأمم المتمدينة ان تجعلها شعاراً لها

اكرم الانكليز في شخص رئيس الجمهورية ممثّل صديقة اليوم ، وحليفة الغد ، ونصيرة النور والعرفان

واكرموا فيهِ فوق ذلك الرجل الممتاز بصفاته العالية واخلاقهِ السامية ، الخطيب المفوّه ، والكاتب النحرير ، والسياسي القدير الذي أجمع الجميع على احترام شخصيته

فقال لهُ ملك بريطانيا وامبراطور الهند في خطبة الترحيب ، مالم

نسمعه في الخطب التي يتبادلها رؤساء الحكومات واصحاب التيجان ، قال :

« أنا سعيدٌ بان أرى في ضيافتي رجلاً ممتازاً بخدمهِ الجليلة ، ذا شهرةٍ بعيدة ، ليس فقط في عالم السياسية ، بل أيضاً في تلك الجمعية الاكاذيمية التي هي موضوع مجدٍ لفرنسا منذ ثلاثة قرون تحسدها عليهِ أوروبا جمعاء »

هذا ما قالهُ جورج الخامس الذي لا تغيبُ الشمس عن أملاكهِ لابن الشعب الذي توصَّل بجده واجتهاده الى أعلى مقامٍ يحلمُ بهِ الانسان

أمَّا الأمة الانكليزية فقد عبَّرت عن إعجابها وابتهاجها ، كما يُعبّر الشعب ، بلا تصنُّع ولا تكلُّفٍ . فكان هتاف التحية والنصر يتصاعدُ من كل الصدور ، لفرنسا ولرئيسها وللحرية ؛ ولم ينسوا في هتافهم اللورين ، أم الرئيس ، وابنة فرنسا المفقودة !

وكان الرجالُ والنساء حاملين الازهار الزرقاء والبيضاء والحمراء : ألوان الراية الفرنسوية . وفي أحد الشوارع سُمع صوت الفونوغراف يحيي الرئيس وينشد المرسليز ، كما سمع صوت الببغاء يحيي اغسطوس قيصر عند دخوله رومه . . .

***

ثلاثة أيامٍ قضاها پوانكاره في عاصمة الانكليز بين مجالي الابتهاج ومظاهر الحفاوة : عند وصوله حيَّاهُ الاسطول الانكليزي باطلاق المدافع ؛ وعند سفره شيَّعتهُ ست طياراتٍ محلقةً فوق البارجة التي تقلّه . وهكذا ارادت انكلترا ان تحيي فرنسا وطن فنّ الطيران

وقد كان للطيارين شأن يذكر في هذه الزيارة . فان جريدة «الماتن» سألت كبار رجال السياسة والادب رأيهم في زيارة الرئيس لانكلترا وطبعت من العدد الذي نشرت فيه الاجوبة ثلاث نسخ على الحرير ، ولم ترسلها في البريد بل سلمتها الى أحد الطيارين الفرنسويين ، فحملها طائراً من باريس الى لوندرا ، ودفع نسخةً منها الى الملك جورج ، ونسخةً الى الرئيس ، ونسخةً الى محافظ لوندرا

***

ولم تنقضِ هذه الزيارة دون ان نسمع صوتاً للشعراء — صوتاً واحداً — ولو كان ذلك عندنا لسمعنا ألف صوت . . !

شاعر انكلترا الكبير روديرد كيبلنغ (Rudyard Kipling) حيّا الرئيس بقصيدة وجهها الى فرنسا ، قال :

« انتِ التي عرفت كلّ شقاء معروف وتغلبت عليه
لانكِ تحملين في صدركِ حب الحياة السليم : وهو درع بلاد غاليا[1]
ففي مغامر النعمة لا تعرفين حداً . وفي مواطن الجهد لا تعرفين ضعفاً
انت الرهيبة بقوةٍ تستمدينها من تربةٍ لا ينفد غناها
تحكمين أشدّ الاحكام على قدركِ وشانك . وانتِ الأمة الرؤوفة بالغير
انتِ الأولى في اتباع الحقيقة الجديدة ، والاخيرة في تركِ الحقائق القديمة
انتِ فرنسا التي تحبها كل نفس عطوفة الى حب الناس

***

أتذكرين انا قبل مولدنا كنا جنباً الى جنب نضطرب ، كنا معاً في حجر رومة متحرجين لنبدأ بالعراك ،

---

(١) اسم بلاد فرنسا القديمة

قبل ان يعرفوا تباين لغاتنا كانوا يعرفون مستقبل مهمتنا

كل واحد من هذين الشعبين كان في آن واحد يهيئ مستقبله ، ويرتّب مصير أخيه

فلهذا هززنا نحن الاثنين الانسانية الى أن صارت الارض كلها أرضنا !

ومن أقصى العالم الى أقصاه أثارت منازعاتنا السلطات وشيدت عروشاً وقوضت عروشاً

وذلك لكي يسد الواحد منا الطريق في وجه الآخر

تلك شعوب اتخذناها مقدّماتٍ لنا . فكانت اجيرات سخطنا وغضبنا

لهذا ملأنا البحار عواصف ، واجتزنا أبواب العالمين الجديدة دون ان نعرف من منا نحن الاثنين كان السابق

أتذكرين ؟ ويد كل واحد منا على قائم سيفه . وكلنا مستعد ليضرب . وكلنا واثق بأن الملتقى ، مهما كان ، آئل الى المعركة . كنا شاكي السلاح ، لا يخطو احدنا خطوة الاّ اوقفته قوة الآخر ، أو دفعته الى الأمام .

لقد اجتزنا طول العصور والاحقاب وقطعنا عرض البحار كلها

⁂

فأين تقهقرتِ أمامنا ؟ ؟ ومتى تقهقرنا أمامكِ ؟ ؟

سلي أمواج البحار : كل موجة منها قد عرفت احدى معاركنا

أجل حالت بيننا احياناً شعوب اخرى . لكننا كنا نتركها لنعاود الكرة على بعضنا بعض ، لأننا كنا نلذ جميعاً بتعادلنا في الجلاد

كان كل واحد منا للآخر سراً وجزعاً وحباً ، كنا نتقابل بشعارنا

فأية معركة كانت تشرّف احدنا بالعراك كمعاركنا ونحن الخصمان الباسلان

كان أحدنا ينتزع من حلق الآخر شهادة له ببسالته ، وهتاف اعجاب به

وكلانا صب في جام أخيه دمه ممزوجاً بدمعه : أفراح البأس ، والآمال بلا حد ، والاشجان الشديدة .

وكل ما لوّث الحياة ، وكل ما رفعها وأعلاها منذ ألف عام ، أعمال تنوء بها القوى ، ومعارك تحت كل شمس وسماء : هذه هي افعالنا المشتركة يا فرنسا الصديقة !

* * *

متعانقين الآن تحت عبء واحد من الذكرى والندم أصبحنا تتوق الى الراحة ، ضاحكين من الخدع القديمة التي صرنا الآن نزاها ألاعيب

وننظر الى اقبال سنين جديدة متسائلين هل يمكن أن تثور عواصف أشد من التي أثرناها . والآن نسمع أصواتاً جديدة تتعالى وتتساءل وتتفاخر وتنادي كما كنا ننادي صاخبين ، عند ما تتدفق جماهيرنا : أتذكرين ؟ ؟

حباً بالحياة ذاتها كان أحدنا يتفحّص حسام الآخر ، فأي دمٍ وأي حسام يفعلان اكثر مما فعلنا ؟ ؟

فيا لها من مدرسة صارمة تعلمنا فيها أن يعرف الواحدُ منا الثاني

نحن الذين تغازينا سواحلنا وتناهبنا منازلنا

من يوم رنّ سيفُ برنّوس (١) وهو واقع في ميزان رومه !

ونحن اليوم نتماسك ثانية جسماً لجسم لصون سلام الأرض بالسهر عليه نقياً من كل دمٍ »

فكان لهذه القصيدة أعظم وقعٍ في النفوس ، وتناقلتها صحف الأمتين معلقة عليها الكلمات الطيبة لما تضمنتهُ من الشعور الصحيح والخيال الراقي . وانبرى لردّ التحية الشاعر الفرنسوي فرنان غريك ، ونحن نقتطف من قصيدته بعض مقاطعها :

« أجل أيها الرفاق ! كلانا أبلى في القتال بلاءً حسناً .

---

(١) Brennus احد القواد الغالبين غلب رومة وفرض عليها جزية باهظة . وبينما كان الرومان يزنون الذهب شكوا من تلاعب الوزّانين ، فرمى برنوس بسيفه في كفة الميزان ليزنوا ايضاً ثقله ذهباً وقال : ويل للمغلوبين!

كان اسطولانا يجوبان البحار، ويطرقان الموانيء، يبحث الواحد عن الثاني

كان اسطولكم ضخماً قوياً متغلباً على ثبَج البحر

وكان اسطولنا رشيقاً فتاً كامزيناً بالاعلام وكلاهما ملاك البحر والهواء

رآهما العالم من بريطانيا العظمى الى اميركا يتقاتلان في أماكن لا اسم لها ولا ذكر وقد أصبحت مشهورة بعد معاركنا . . .

والآن ، وقد اطرحنا الحقد ، يمكننا ان نقص على بعضنا بعض تاريخ مواقعنا الهائلة دون ان نخجل من الماضي

أما جان درْك ونابوليون فان احترامكم وتمجيدكم لهما الآن يمحو كلّ ذكرٍ سيء . . .

بلى يقال عنا معشر الفرنسويين اننا نملأ الأرضَ ضجيجاً ، ونصمّ الآذان بمناداتنا بالحرية والمساواة والاخاء

بلى ولكننا كثيراً ما نجتزّ رؤوس بعضنا بعض من أجل هذه الكلمات ، وذلك ليستفيد العالم !

فلنأتلف يا انكلترا ذات العقل الشريف واليد القوية

فنقوى حينئذٍ على تسكين آلام العالم وسدّ ينابيع الدمّ . »

عطلة الصيف

هذا هو الجزء الأخير الذي يصدر من مجلة *الزهور* قبل عطلة الصيف . وموعدنا والقراء الكرام اوّل اكتوبر القادم

☆
☆ ☆

أصدرت ادارة هذه المجلة في سنتها الأولى ، بعنوان **مصر وسوريا** عدداً كبيراً ممتازاً جمعت فيه اقوال الكتّاب والشعراء قديماً وحديثاً في القطرين الشقيقين ، كان لهُ احسن وقع في عالم الأدب

وقد عزمت في هذه السنة أيضاً على اصدار عددٍ ممتازٍ في موضوع خاص شأن المجلات الكبرى في اوروبا . ولما كانت **الزهور** لم تفتأ منذ نشأتها تواصل السعي في ايجاد صلة تعارفٍ بين ادباء الأقطار العربية ، رأت — اتماماً للفائدة ، وإجابة لرغبة الكثيرين من القرّاء — ان تجعل موضوع ذلك العدد الخصوصي

مراكش والجزائر وتونس وطرابلس

وسنجمع فيه خلاصة ما يهم القرّاء معرفتهُ عن تلك البلاد العربية ، وحالتها الأدبية والاجتماعية ، ومشاهير كتّابها وشعرائها ، ومدارسها وصحافتها وانديتها ، الى غير ذلك من الشؤون المتعلقة بها . وسنسعى الى الحصول على الصور والرسوم اللازمة زيادة في التفكهة والفائدة

ونحن نرغبُ الى قرائنا ان يمدّونا بآرائهم ، ويوافونا بما لديهم من من المعلومات عن هذا الموضوع ، لتكون هذه الهدية التي نعدّها لهم اكثر فائدة ، وأتمّ رونقاً

زواج ابنة غليوم الثاني

او مصالحة أُسرتي هانوڤر وهوهنزُلرن ٢٤ ايار ١٩١٣

كثر عدد الذين خافوا على الامبراطورية الالمانية من سنة ١٩١٣ . وذهب القوم في تأويل هـذا الخوف وتعليله مذاهب شتى . وقد رووا لنا — وكانت مجلة « الزهور » في جملة الراوين — ما تنبأ بهِ بعضهم للامبراطور غليوم الاول من ان سنة ١٩١٣ ستكون سنة شؤم وبؤس على أُسرة هوهنزلرن ، وانهُ يخشى فيهـا على الامبراطورية الالمانية من الانقراض . وها قد مضى من هذه السنة نصفها ، ولم نرَ فيها ما ينذر بتحقيق تلك النبوة ، بل إنَّ عامنا هذا لم يحمل حتى الآن في طيات أيامهِ ولياليهِ إلاَّ ما سرَّ له الالمان وابتهجوا . فقد وقع فيهِ تذكاران مجيدان كانا داعيةً لاقامة الافراح والاعياد في المانيا عامةً وفي بروسيا خاصةً : أولهما تذكار مرور مئة سنة على قيام الشعوب الالمانية ونهضتهـا في وجه الفاتح الكبير نابوليون الاوَّل ، وثانيهما تذكار مرور خمس وعشرين سنة لجلوس الامبراطور غليوم الثاني على عرش مملكة بروسيا وامبراطورية المانيـا ، فاحتفل في الشهر الفائت بالعرس الفضي لملكـهِ ، كما احتفل بالعرس الفضي لزواجه . وقد شاءت الأقدار ان تزداد افراحُ الامبراطورية الالمانية والسلالة المالكة بحادثٍ لم يكن منتظراً ، لا بل كان بعيد الامكان ، ألا وهو مصالحـة سلالة هوهنزُلرن المالكة مع سلالة ملوك

هانوفر المعروفة باسم سلالة برنزويك . فرأينا بهذه المناسبة ذكر لمحة تاريخية عن هذا الحادث الذي علّقت عليهِ الصحف أهمية كبرى فنقول :

لا يخفى أنَّ امبراطورية المانيا الحالية حديثة العهد ، نادى بها المتحالفون الالمان وقت سكرهم بخمرة الانتصار على فرنسا ، وهم مجتمعون في قصر « فرسايل » في بداية سنة ١٨٧١ وحيّوا كبيرهم وعميدهم ملك بروسيا بلقب امبراطور المانيا ، وذلك انتقاماً لشعوبهم من الفرنسويين اذ كان نابوليون الاوّل قد ألغى بمعاهدة برسبورغ لقب امبراطور المانيا وذلك في أواخر سنة ١٨٠٥ . وكانت امبراطورية المانيا الاولى التي ألغاها نابوليون قد تأسَّست سنة ٩٦٢ ميلادية وقد أكملت ترتيب نظامها الأساسي والاداري في أواسط القرن الرابع عشر فكان يرئسها امبراطورٌ كاثوليكي المذهب تعترف له الشعوب المسيحية الغربية بميراث ملوك الغرب الرومانيين . وكان ينتخبهُ سبعة أمراء ألمان : أربعة من العلمانيين ، وثلاثة من علية الاكليروس . وكان يطلق على كل من هؤلاء الامراء السبعة لقب « المنتخِب » . ولكن لما ظهرت الانقسامات الدينية منذ بداية القرن السادس عشر ، وكثرت الاضطرابات والحروب والمداخلات الأجنبية ، أصبحت سلطة الامبراطور وهمية وشرفية اكثر مما هي فعلية ؛ وصار كلُّ واحدٍ من الامراء يعتبر ذاته مستقلاًّ ، حتى انه لما حدثت الثورة الفرنسوية ، كان في الاراضي المعروفة باسم الامبراطورية الالمانية ما لا يقلُّ عن ٣٥٠ مملكة وامارة ودوقية ومدينة حرّة تدّعي كل منها الاستقلال التامّ . وكانت تقسم الى ثلاث طبقات

١ً – طبقة المنتخِبين وهي فوق سائر الطبقات ، وكانت مؤلفة من رئيس اساقفة مايانس ، ورئيس اساقفة كولونيا، ورئيس اساقفة تريف ومن الكونت بالاتين وملك بوهيميا والدوق دي ساكس وامير برندبورج. وكان قد أُضيف اليهم منتخِبان وهما الدوق دي باڤاريا في سنة ١٦٢٤ ، والدوق دي هانوڤر في سنة ١٦٩٢ . فصار الأمراء المنتخبون تسعة . ثمَّ ان الامبراطور ضمَّ لقب بوهيميا الى القابه ، وصار أمير برندبورج ملكاً على بروسيا في سنة ١٧٠١ ، والدوق دي هانوڤر ملكاً على انكلترا سنة ١٧١٤ وانقرض فرع باڤاريا سنة ١٧٧٩ . فأصبح لقب منتخِب محصوراً في الواقع بخمسة امراء يعترفون بتابعيتهم للامبراطور . وبعد حروب الثورة الاولى منح الامبراطور لقب منتخب لكلٍّ من دوق ورتمبرغ ، وأمير هس كاسيل تعويضاً لهما عما خسراه من الاراضي التي أخذتها فرنسا

٢ً – طبقة الامراء وفيها اكثر من ٢٩٠ اميراً من الاكليروس والعلمانيين ، واول هؤلاء الامراء حامل لقب ارشيدوق دوتريش وقد ارتقى صاحب هذا اللقب اريكة الامبراطورية منذ سنة ١٢٧٤ ، وحصر المنتخبون الملكَ في سلالتهِ فعلياً منذ سنة ١٤٣٩

٣ً – طبقة المدن الحرَّة ، وعددها ٥١ مدينة ، اشهرها «فرنكفورت» حيث كان يصير انتخاب الامبراطور

هذه هي الامبراطورية الالمانية التي ألغاها نابوليون سنة ١٨٠٥ ،

ولما سقط هذا العاهل وانت الدول المنتصرة ترتب هيئة اوروبا في مؤتمر ڤينا سنة ١٨١٥ ، أصبحت ألمانيا أو البلدان الجرمانية تؤلف تحالفاً

أو اتحاداً يُدعى « الاتحاد الجرماني » يحتوي على ٣٩ دولة ودويلة ، في مقدمتهـا امبراطورية النمسا وممالك بروسيا وباڤاريا وهانوفر وورتمبرج وساكس . وكانت النمسا تفضّل بقاء هذا الترتيب لأن امبراطورها كان حاصلاً على رآسة هذا الاتحاد ، وسلطتها كانت ممتدّة على شعوب غير المانية كالمجر وتمالي ايطاليا وبوهيميا وبولونيا . أما بروسيا فانهـا كانت متضايقة من هذا النظام أولاً لبقائها تابعة للنمسا وبنوع ما تحت سيادتها، وثانياً لان أملاكها وولاياتها كانت منفصلة عن بعضها بعض ، ومتفرقة الى أقسام متباعدة الأطراف ، وكان فريدريك الثـاني اكبر ملوكها قد قضى مدّة ملكه الطويلة بالحروب رغبةً في الحصول على توحيد حدود مملكتهِ ، فلم يدرك إلاَّ بعض غايتهِ . وعليهِ كان جلّ همّها تغيير الحالة الموجودة في سنة ١٨١٥ والتوثب على جيرانها الالمانيين لتسوية حدودها بضمّ ما هو موافق لاملاكها . وكانت مملكة هانوفر أهم العقبات في سبيل تلك الغاية وكانت مساحتها نحواً من ٣٩ الف كيلومتر وسكانها اكثر من ثلاثة ملايين . وكان دوقها قد نال لقب منتخب منذ سنة ١٦٩٢ ، وهو المنتخب ارنست اغوستوس ؛ وتوفي ١٦٩٨ ، وفي سنة ١٧١٤ صعد ابنه المنتخب جورج على عرش انكلترا فعرِف بالملك جورج الأوَّل ، ذلك لأن جدّته لأمهِ كانت ابنة الملك « جاك » أو « جمس » الانكليزي . فكان أقرب نسيب بروتستاني للملكة حنـة ستوارت المتوفاة بدون عقب . فجمع بشخصه السلطة على انكلترا وعلى هانوفر . وجعل مؤتمر ڤينـا هانوفر مملكةً سنة ١٨١٥ . ولكن لما كانت هـذه المملكة تحت سلطة ملوك

انكلترا لم يكن ملوك بروسيا ليتجاسروا على التحرش بها . فلما توفي وليم الرابع الانكليزي سنة ١٨٣٧ آلت نوبة الملك في انكلترا الى ڤيكتوريا ابنة أخيه . وأما في هانوفر فلما كانت الشريعة تحرّم جلوس النساء على العرش آل الملك الى اخيهِ ارنست اغوست، وهو اصغر من والد ڤيكتوريا ، فصار ملكاً باسم ارنست الأوّل حتى سنة ١٨٥١ حيث توفي وورثه ابنه جورج الخامس . وفي عهده حدثت حروب فرنسا وسردينيا ضد النمسا فشلت هذه وخسرت اكثر املاكها في ايطاليا ، كما ان حرب القرم كانت قد افقدتها ثقة روسيا . فاغتنمت بروسيا هذه الحوادث وعملت بتدابير بسمارك الداهية الدهياء فاضطرت النمسا الى اتباع سياستها في الوثوب على مملكة الدنمرك وافتتاح ولايتي سلسڤيك وهولستين ودوقية لوينبورغ . ولكنَّ اتفاقهما لم يطل فوقع الاختلاف بين المنتصرين وحاول كلٌ منهما اتخاذ مجلس الاتحاد آلة بين يديه . ولكنَّ الاكثرية انضمت الى النمسا وفي مقدمتها ملك هانوفر ، ودوق ناسو ومنتخب هس كاسل . فشهرت بروسيا الحرب عليهم ، وما لبثت جنودها ان اقتحمت حدود خصومها . وفي أقل من ثلاثة اشهر انتهت الحرب بانتصار بروسيا التام على النمسا وجميع محالفيها ؛ واشهر مواقع هذه الحرب موقعة سادوفا (تموز سنة ١٨٦٦) . وعقد الصلح بين بروسيا والنمسا ، فقبلت هذه بخروجها من التحالف وبكل ما تجريه بروسيا في جرمانيا . فاعلنت بروسيا ضمَّ مملكة هانوفر ودوقية ناسو وامارة هس كاسل ومدينة فرنكفورت الى اراضيها ، فاصبحت جميعها ولايات بروسية عاديّة ثم ارغمت

بروسيا سائر امراء وملوك الاراضي الواقعة شمالي نهر المين (Mein) على الانضمام اليها بتحالف دعي تحالف المانيا الشمالية . وهكذا اصبحت اراضي مملكة بروسيا كلها متصلة بعضها ببعض لا يتخللها ارض مملكة غريبة . فاحتج جورج الخامس على سلب مملكته وضمها لبروسيا بمنشور ارسله من ڤينا الى جميع ملوك اوروبا . لكن احتجاجه لم يجدهِ نفعاً اذ ان نسيبتهُ وابنة عمهِ فيكتوريا ملكة انكلترا كانت حماةً لولي عهد بروسيا فلم تحرّك ساكناً . وكان احتجاجه سبباً لغيظ ملك بروسيا الذي ضبط حينئذٍ املاك جورج الخامس الخصوصية وحجز على دخلها ووضعت هذه الاموال في صندوق دُعي « بمال اسرة كولف » Fonds Guelfe ولما انتصرت بروسيا على فرنسا وتألف من البلدان المنتصرة امبراطورية جامعة لخمس وعشرين مملكة وامارة ومدينة حرّة ولولاية الالزاس واللورين احتج ايضاً جورج الخامس على هذا الانضمام

وفي سنة ١٨٧٨ توفي جورج الخامس فخلفهُ ابنهُ الوحيد ارنست اغوست المولود سنة ١٨٤٥ ، فأعلن الملوك والحكام وفاة والدهِ وجلوسهُ بعدهُ معيداً ومكرّراً احتجاجه على كل ما أجري في المانيا منذ سنة ١٨٦٦ وانه يكتفي (مع حفظ حقوقه بمملكة هانوفر) بأن يدعى دوق دي كمبرلند (وهو لقب جده في انكلترا قبل أن يكون ملكا على هانوفر) ودوق دي برنزويك ولونبرج . وفي السنة نفسها اقترن بثالثة بنات خريستان التاسع ملك الدنمرك فصار عديلاً لولي عهد انكلترا (ادوار السابع) وولي عهد روسيا (اسكندر الثالث) . ولما انقرض فرع أسرتهِ

المالك على برنزويك بوفاة الدوق غليوم بدون عقب سنة ١٨٨٤ ، كان يجب ان يصير هو دوقاً على برنزويك التي هي احدى ممالك وامارات المانيا المتحدة ولكن الامبراطور ومجلس التحالف رفضا إعطاءه هذه الدوقية ما لم يقبل بضم الهانوفر ويستعيد منشورات اعتراضه السابقة ، فرفض ؛ وبقيت دوقية برنزويك تحت ولاية وصيٍّ الى اليوم . وفي العام الماضي ١٩١٢ ، لما توفي فردريك الثامن ملك الدنمرك فجأةً في همبرغ وتعين ميعاد دفنهِ في ٢٤ ايار في كوبنهاغ ، توجه ابنُ اختهِ وهو بكر الدوق ارنست المذكور في اتوموبيل مجتازاً المانيا ذاهباً الى الدنمرك لحضور المأتم . فحدث اصطدامُ الاتوموبيل ، وسقط الامير الشاب قتيلاً وهو في الثانية والثلاثين من عمره ونقلت جثته الى كوبنهاغ فاحتفل بدفنه مع خاله بوقتٍ واحد فكان لهذا الحادث المكدر تأثير سيئ في كل العالم لا سيما وانه كان قد جرت مفاوضات سرية ليتنازل الدوق ارنست عن حقوقهِ لابنه هذا وهو يخضع لما جرى في المانيا فيصير دوقاً مالكاً على برنزويك . فسعى الأقارب والأمراء بين الامبراطور وهذا الدوق التعس الحظّ حتى نجحت مساعيهم بواسطة الحب لأن الابن الوحيد للدوق ارنست ، واسمهُ كابيه ، ارنست اغوست ، رأى ابنة الامبراطور وعلق بحبها فتصالحت الاسرتان وخطبت الاميرة للأمير . وفي ٢٤ أيار احتفل بزواجهما في برلين في حفلةٍ شائقة سار فيها الامبراطور مع الدوقة ثم الدوق مع الامبراطورة ، ثم سائر الملوك والامراء الالمان المتحالفين وامراء من كل الأسر المالكة . وبلغت التحف والهدايا المقدمة الى العروسين ١٢

مليون فرنك . وهكذا عاد الصفاء بين السلالتين المتعاديتين منذ نحو ٥٠ سنة ، وعادت دوقية برنزويك الى امرائها الاصليين ؛ ولم يبقَ في انكلترا امراء من الدم الملكي القديم . بل عادوا الى المانيا ، وهي مسقط رأسهم الأول . ولم يعد باقياً أثر للعداوات والمناوآت القديمة التي كانت بين بروسيا ومخاصميها في المانيا لان الامبراطور الالماني اضحى على وفاق تام مع جميع الذين غلبهم جدُّه ووزيرهُ بسمارك

سليم قطار الدحداح

﴿ حكمة قاضٍ ﴾

من اغرب الاحكام الصينية ان اربعةً من تجار القطن خافوا أن يسطوا الفأر على قطنهم فابتاعوا هرًّا بان دفع كل واحد منهم ثمن فخذ . فحدث ان الهرّ جرح بفخذٍ من افخاذه فربط جرحه بالقطن وبلَّ بالغاز . فقضت الصدفة التعسة بالتهاب الضماد وفرار الهرّ الى اكداس القطن فاحرقها . فاقام أصحاب الافخاذ الثلاث السليمة الدعوى على صاحب الفخذ الجريح . فاصدر القاضي حكمهُ بان الفخذ الجريح لم يحمل الهرّ الى القطن ولكن الافخاذ السليمة هي التي حملته . فعلى أصحابها أن يدفعوا ثمن قطن صاحب الفخذ الجريح

---

* ثلاثة لا يعرفون الاَّ في ثلاثة مواضع . لا يعرف الشجاع الاَّ عند الحرب . ولا الحكيم الاَّ عند الغضب . ولا الصديق الاَّ عند الحاجة اليه (للمستعصمي)

الحركة الصهيونية

الحركة الصهيونية حركة ملية اجتماعية ذات قواعد مقرَّرة يرمي بها فريقٌ من بني اسرائيل الى ايجاد وطنٍ خاص لشعبهم تحقيقاً لما ورد في نبؤات ارميا ويوئيل من انهُ « تأتي ايام يردُّ الله (فيهـا) سبي شعبه اسرائيل فيقيمون مدنهم الخربة ، ويسكنون بهـا ، ويغرسون كروماً ، ويشربون خمورهم » وقوله بلسان عاموس النبي : « واغرسهم في ارضهم ، ولن يقلعوا بعد من ارضهم التي اعطيتهم » وقوله بلسان اشعيـا وميخا : « ان الخلاص يأتي من صهيون ؛ والقدس تكون المركز الذي تصدر منه الشريعـة » ثم ما جاء في التلمود وغيره مشيراً الى ان المسيا بن يوسف يجمع بني اسرائيل حوله ويزحف على القدس ، ويتغلب على قوة الاعداء ويعيد العبادة الى الهيكل ، ويقيم ملكه

وقد طفق القوم يفكرون في هذا الموضوع ، ويحاولون تنفيذه بعد ان خرَّب طيطس هيكل سليمان في سنة ٧٠ للمسيح . ولكن لم يتجاوز تفكيرهم حد الكتـابة شعراً ونثراً حتى دعاهم الى العمل شبتاي زيبي في القرن السابع عشر ، فلبّاه بعضهم ؛ الاَّ انه لم يفلح في ما أراد . ثم حاول غيره الاقتداء بهِ فتألفت العصابات وأُنشئت الجمعيـات ، ورمى القوم بابصارهم الى اميريكا تارة والى فلسطين طوراً . وجدَّ الكتَّابُ في التذكير والحض وتكوين رأي اسرائيلي عام . وكتب سلفادور المؤرخ اليهودي رسالة في سنة ١٨٣٠ قال فيها : ان مجرَّد عقد مؤتمر في اوروبا يعيد فلسطين

الى اليهود . فتألفت جمعية الاليانس (الاتحاد) الاسرائيلي وبدأ القوم باستعمار فلسطين فأنشأوا مدرسة « مكوى اسرائيل » على مقربة من يافا ثم ظهرت كتب ورسائل مختلفة في الموضوع اهمها كتاب « واجبات الأمم في ان يُعيدوا الى الشعب اليهودي قوميته » ورسالة « اعادة القومية اليهودية » وفي هذه الرسالة التي نشرت سنة ١٨٦٨ صرّح فرنكل لأوّل مرة « باعادة تشييد حكومة يهودية في فلسطين وذلك بشراء البلاد من تركيا » وقال — من باب الاحتياط الكلي — : « انه اذا لم يكن ابتياع فلسطين ميسوراً فلنطلب وطناً معيناً في جهة اخرى من الكرة الارضية لأن الغاية الوحيدة هي ان يكون لليهود وطنٌ وان يكونوا احراراً فيه »

والّف المسيو موريتس ستينشنيدر حوالي سنة ١٨٤٠ جمعية من طلبة المدارس الاسرائيلية لنشر فكرة استعمار فلسطين. ثم أُلِّفت سنة ١٨٦٦ الجمعية الفلسطينية العمومية وجمعية الاستعمار السوري الفلسطيني . وخاطب المستر « لورانس الفانت » الحكومةَ العثمانية في مدّ خطٍّ حديدي في وادي الفرات لاسكان مهاجري اليهود على جانبيه وانشاء مهجر لليهود في نواحي السلط فلم يُجَبْ له طلب . ولكن القوم لم ينثنوا عن سعيهم في جمع المال وتأليف الجمعيات هنا وهناك حتى تمكنوا في سنة ١٨٧٤ من انشاء اول مستعمرة اسرائيلية في فلسطين

وبينما هم في جدٍّ واجتهاد ظهرت في اوربا حركة الانتيسيميتزم اي مضادة اليهود فصرفت فريقاً كبيراً منهم عن التفكير في مسئلة الاستعمار وطفقوا يحاربون اعداءهم بقوة القلم حيناً وبقوة المال حيناً اخر . ولكن

هذه الحركة اتسع نطاقها وأخذت حكومات عديدة ترغم اليهود على الجلاء عن بلادها فزاد تشبثهم بايجاد ذيّاك الوطن المنتظر لجمع شملهم وتحريرهم من عبودية الحكومات المتفننة في ايذائهم

ونشر المسيو هرتسل العالِم الاسرائيلي النمسوي في سنة ١٨٩٥ كتابه اليودنستات (الوطن اليهودي) وقال فيه : « ان الانتيسيمتزم خطر لا يُهدّد اليهود فقط بل العالَمَ باسره ، ولا يمكن اجتنابه لأن اليهود شعب يتعذّر امتزاجه بمن حواليه في الحياة الاجتماعية ؛ فلا بدّ من تملكهم متسعاً من الكرة الأرضية يكفيهم لأن يجتمعوا فيه ويقيموا لهم وطناً خاصاً بهم » ثم اقترح تشكيل لجنة تقوم بالاعمال الاولية العلمية والسياسية وشركة للاستعمار يكون رأس مالها خمسين مليون جنيه انكليزي لامتلاك الارجنتين او فلسطين وادخال اليهود اليها بطريقة منظمة

فتقبَّل اليهود وجمعياتهم رأيه بالرضى والارتياح وعينوه رئيساً للجمعيات التي اشتركت في تنفيذ اقتراحه فدعاها الى مؤتمر عام عقدوه في مدينة باسّل وحضره ٢٠٤ اعضاء يمثل بعضهم جمعيات مختلفة وقرروا فيه ترويج تعليم اللغة العبرانية وانشاء لجنة خصوصية للاداب اليهودية وتأسيس صندوق مالي للاعانة وتأليف جمعية عاملة تنفذ اقتراحات المؤتمر فالِّفتْ هذه الجمعية واشتغلت بطبع خطب هرتسل وماكس نوردو واعدّت ما يلزم لتأليف نقابة استعمارية اسرائيلية

وانعقد المؤتمر الثاني في اغسطس سنة ١٨٩٨ بمدينة باسل وقرر تأليف النقابة وجعل اللسان العبراني لغة قوم موسى وتربية الاسرائيليين

بحسب قواعد التهذيب الحديثة

ثم انعقد المؤتمر الثالث في ١٨ اغسطس سنة ١٨٩٩ بمدينة باسل وقرئت فيه عدة تقارير دلت على نجاح الجمعيات الصهيونية وتكاثر عدد المنتظمين في سلكها ، واقترح بعضهم استعمار قبرص فرفض طلبه بدون مناقشة فيه

وانعقد المؤتمر الرابع في ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٠ بمدينة لندن . وتمكن هرتسل من مقابلة السلطان عبد الحميد مرتين فانعم جلالته عليه بالنيشان المجيدي

ثم انعقد المؤتمر الخامس في مدينة باسل في يوم ٢٦ دسمبر سنة ١٩٠١ وتقرر فيه عقد المؤتمر مرة كل سنتين وان تنعقد في الفترات الواقعة بين المؤتمرات اجتماعات يحضرها اعضاء الجمعية الكبرى

ولاحظ زعماء الاسرائيليين أنهم غير ناجحين في استعمار فلسطين فخاطبوا فخامة اللورد كرومر في استعمار العريش فلم تجبهم الحكومة المصرية جواباً يحسن الوقوف عنده . ثم خاطبوا الحكومة الانكليزية في استعمار أفريقيا الشرقية . ولكن فريقاً كبيراً من ذوي الرأي لم يوافقوا على استعمار احدى الجهتين وقال المسيو هرتسل : « ان شرقي أفريقيا ليست صهيون ولا يمكن أن تكون كذلك » وقال الاستاذ ماكس نوردو : « لو أمكن احداث مثل هذا المقر — يعني أفريقيا الشرقية — فهو لا يكون الا دار عزلة مظلمة »

وتوفي هرترسل في ٣ يوليو سنة ١٩٠٣ فوصفته دائرة المعارف

الاسرائيلية بقولها : « انه السياسي اليهودي الوحيد الذي كرّس حياتهُ لخدمة قومه واستطاع ان يقوم بما لم يستطعهُ فرد ولا جماعة في سبيل اعلاء شأن الصهيونية وتثبيتها ؛ فقد كانت هـذه المسئلة في بدئها مسئلة خيرية زراعية ، فصيرها هرتسل اقتصادية سياسية »

وانتخب الاستاذ ماكس نوردو الفيلسوف الألماني المعروف خلفاً لهرتسل في رياسة المؤتمرات والجمعية العاملة ؛ فرأس المؤتمر السابع الذي عقد في ٢٧ يوليو سنة ١٩٠٥ وصدق على قرار خلاصته ان الهيئة الصهيونية تبقى ثابتة لا تحول عن اعداد وطن لليهود في فلسطين

ولا تزال المؤتمرات الاسرائيلية تعقـد مرة كل سنتين في عاصمة من عواصم أوربا والجمعيات الصهيونية تنتشر في جميع الاقطار الشرقية والغربية ويتسع نطاقها فبلغت ألوفاً واشترك فيها مئات الالوف من الاسرائيليين على اختلاف طبقاتهم يمدونها بالآراء ويساعدونها بالمال كلٌّ على قدر طاقته ؛ فتمكنوا من انشاء « المصرف اليهوي الاستعماري » ثمَّ صندوق « الذخيرة الوطنية الاسرائيلية »

والمقصود بهذه الذخيرة المال الذي يجمعهُ اليهود لاسترداد أرض فلسطين وجعلها مقراً لليهود المتشتتين في انحاء المعمورة المعرضين لاضطهادات الحكومات المختلفة وازدرائها بهم . ومركز رياسة اللجنة العاملة لصندوق الذخيرة في مدنية كولونيا الالمانية . وقد بلغ رأس ماله ١٢٠ الف جنيه انكليزي في سنة ١٩٠١

وللقوم في جمع المال طرق مختلفة أبانوها في منشوراتهم للمطبوعة

بالفرنسوية والانكليزية والألمانية ؛ وأهمها طريقة الصناديق الخصوصية وهي صناديق مقفلة ذات ثقب ترمى منهُ النقود ، ويرسل منها صندوق لكل من اراد فيضع فيه ما يفيض عن نفقاته او ما يقرّره على ذاته اسبوعياً او شهرياً ثم يأتي مندوب الجمعيـة في وقتٍ معيّن ويفتح هذا الصندوق ويأخذ ما فيه ويقفله . وتقول الجمعية في نشراتها ان الادّخار في الصندوق الخاص هو خير وسيلة لتدريب الصغـار على معرفة الواجب عليهم نحو شعبهم

ومنهـا طوابع البريد والتلغراف وتذاكر التهنئة والتعزية : وهي اوراق خاصة يبتاعها الصهيونيون ويستخدمونها في مكاتباتهم الخاصة

ومنها الكتاب الذهبي : وهو سفر مطبوع على ورقٍ صقيل ومجلد تجليداً مزخرفاً فخماً يشتمل على اسم مَنْ يدفع للجمعية ١٠ جنيهات

ومنها دفاتر المذكرات : وهي تحتوي على قلم رصاص وتقويم وكمية من ورق الكتـابة تخصص لتدوين ما يتبرع الصهيونيون بهِ في الاحتفالات العامة والخاصة لتنفيذ فكرة الصهيونية

ومنها أشجار الزيتون . فكل من يدفع ٣٠ غرشاً تُغرَس باسمه شجرة زيتون في احدى مزارع الاستعمار الصهيوني

ومنها تسجيل الاراضي باسم اهل الخير . فكل من يدفع جنيهين يشترى باسمهِ — لحساب الجمعية — دونم وترسل اليه حجة تملكه

ولا تفتر جمعية الذخيرة يوماً عن ايجاد طرق جديدة لحث الاسرائيليين على البذل . وقد تمكنت بان تأتي بما جمعته باعمال خطيرة جليلة اهمّها شر

ستة الاف دونم من الاراضي على مقربة من بحيرة طبريا ، وانشاء مزرعتين كبيرتين للزيتون في حولدا وبن شامن وعدة حدائق لزراعة البرتقال والليمون والاترج في شدراح وجنينة صامويل

أما المدارس الصناعية والزراعية والعالية التي انشئت بمال الذخيرة في حيفا ويافا والقدس لتربية النشء الاسرائيلي وتعليمه فحدّث عنها ولاحرج . وهكذا قل عن المستعمرات الزراعية وبيوت العمّال التي انشئت في انحاء فلسطين فتحوّل بها القفر البلقع الى روض ازهر

وقد اتاحت لي الظروف التعرف الى جماعة من المشتغلين بهذا الموضوع في القاهرة والاختلاط بهم فعلمت ان لهم مندوباً خاصاً يتردّد على بعض المدارس الابتدائية ويلقي على تلاميذها دروساً يبين فيها حقيقة الصهيونية وما يجب على كل اسرائيلي عمله لتنشيطها ومساعدتها ولهم مجلة فرنساوية شهرية اسمها «النهضة الاسرائيلية» يوافيها أئمة الكتاب الصهيونيين بمباحثهم العلمية النافعة ، وتنشر فيها شهرياً اخبارُ الحركة الصهيونية وانصارها. وقيمة اشتراكها السنوي ثلاثة فرنكات . ولهم نادٍ خاص كبير في حيّ الاسماعيلية . ونحو عشر جمعيات تشتغل بجمع المال وارساله الى اللجنة الرئيسية في كولونيا . ويعني صهيونيو مصر بمطالعة كل ما يردُ عنهم في الجرائد المحلية ويعقبون عليه

وقد انعقدت الجمعية العاملة للصهيونيين في مدينة ڤينا يوم ١٠ يونيو مقدمة للمؤتمر الذي سينعقد في شهر سبتمبر القادم وينظر المسائل المعروضة عليه ثم يأخذ في تنفيذها بقوة مالهِ ورجالهِ

توفيق حبيب

أثر عربي ثمين

«في مبحث الصوت، وأسباب حدوث الحروف»

ممّا يقولهُ بعضُهم في الموازنة بين علم الشرق في الزمن الغابر، وعلم الغرب في الوقت الحاضر، أنّ تقدُّمَ العلم الغربيّ مسيَّرٌ في الغالب بيد الصناعة، وأن للغاية الاقتصادية تأثيراً على مبدئه. فهو مثلُ الحضارة الغربية عمليٌّ اكثر منهُ نظريّ، والى الماديّ أقربُ منهُ الى الأدبيّ. أمّا العلم الشرقيّ فانّ مدنية الشرق لم تنحُ بهِ نحواً خاصاً. ولذلك كان ينمو مع المدارك البشرية على قدرها. ولو أُتيح له الاستمرار في طريقهِ حتى يُدركَ عصرَ الطباعة فالبخارِ والكهرباء، لكان لهُ في المستقبل شأنٌ غيرُ شأنهِ في الماضي

هذا ما يقولهُ بعضهم في الموازنة بين العلمين؛ ويقولون زيادة على ذلك إنّ العلمَ النظريَّ لم يبلغْ في أوربا اليومَ المنزلة التي بلغها في آسيا من قبل. ولعلّ الخاطرَ الأوّل الذي خطر لي عند اطّلاعي على رسالةِ الرئيس أبي عليّ الحسين بن سينا في أسباب حدوث الصوت والحروف كان من هذا القبيل، فقد قلتُ في نفسي ساعتئذٍ: «لماذا تفيضُ الفلسفةُ الطبيعية الحديثة في بيان أشكالِ النور وألوانهِ وتحلُّله وتركّبهِ عند مرورهِ بالمنشور البلّوري، مثلاً، ولا تفيض هي أو الفنون المتفرّعة عنها في بيان أشكال الصوتِ وأوصافهِ عند مرورهِ بالحنجرة وعبث اللسان بهِ في أطراف الفم، كما فعل ابن سينا قبل تسعمائة سنة في الكتاب الذي هو موضوعُ بحثنا الآن»؟

نبّهني الى كتاب ابن سينا عالمٌ جليلٌ محقّق، فرأيتهُ من أنفس مدّخرات خزانة العالِم الفاضلِ أحمد تيمور بك، ولكنهُ، وا أسفاه! قد تناولتهُ يدُ التحريف والتصحيف حتى لا يكاد الانسانُ يثقُ ببقاء جملةٍ منهُ على أصلها. فزادني هذا الأمرُ شوقاً الى نشره وإحيائهِ تعريفاً للخلفِ بآثر السلَف، وإعلاماً بما للعرب

من فضيلة السبق في تحقيق أسباب حدوث الصوت ، وخدمةً للّغة بلفت الانظار الى مبحثٍ آخر من مباحثها ، وهو أسباب حدوث الحروف وكيفية حدوثها

واصلنا البحث عن نسخة ثانية من هذا الأثر العربيّ الثمين ، واستعنّا بكثير من الاخوان ، الى أن عثر صديقي المسيو لويس ماسينيون أستاذ تاريخ مذاهب الفلسفة العربية في الجامعة المصرية على اسم هذا الكتاب في فهرس المكتبة البريطانية في لوندرة ثمّ أراد أن يكون عملهُ أكملَ فكتب الى من أخذ لنا نسخةً فطوغرافية منهُ ؛ فاذا هي لا تقلُّ عن النسخة الأولى تحريفاً ، إلا أنّ معارضة النسختين ومراجعة الكتب التي نقل أصحابها عن رسالة الحروف لابن سينا مثل كتابي المواقف والمقاصد ، وكتاب التفسير الكبير للفخر الرازي ، ومبحث تشريح الحنجرة واللسان من قانون ابن سينا ، قد صححت لنا الأغلاط التي يظهر أنها هي التي حالت دون عناية المستشرقين بنشر الكتاب : فظهرت لنا من كلتيهما نسخة تغلب الصحة عليها ، ويطمئنُّ القلب اليها

⁂

الرسالة اسمها « أسباب حدوث الحروف » وهي في ستة فصول هذا بيانها :

الفصل الأول — في سبب حدوث الصوت ،

الفصل الثاني — في سبب حدوث الحروف ،

الفصل الثالث — في تشريح الحنجرة واللسان ،

الفصل الرابع — في الأسباب الجزئية لحرفٍ حرفٍ من حروف العرب ،

الفصل الخامس — في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب ،

الفصل السادس — في أن هذه الحروف من أي الحركات غير النطقية قد تُسمع

⁂

يقول ابن سينا في سبب حدوث الصوت :

أظنُّ أنّ الصوتَ سببهُ القريب تموُّجُ الهواء دفعة وبقوة وبسرعة من أيّ

سبب كان . ثم ذلك الموج يتأدّى الى الهواء الراكد في الصماخ فيموّجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه

والذي يُشترط فيه من أمر القرع عساه أن لا يكون سبباً كليًّا للصوت ، بل كأنهُ سببٌ اكثري ؛ ثم إن كان سبباً كليًّا فهو سببٌ بعيدٌ ، ليس السببَ الملاحق لوجود الصوت ، والدليل على أن القرع ليس سبباً كليًّا للصوت أن الصوت قد يحدث أيضاً عن مقابل القرع وهو القلع

فاذن العلة القريبة — كما أظن — هو التموّج

فالتموّج نفسهُ — كما يقول ابن سينا — هو الذي يفعل الصوت

وأما حال التموّج من جهة الهيئات التي تستفيدها من المخارج والمحابس في مسالكه فتفعل الحروف

وتعريف الحرف في كتاب ابن سينا « هو هيئة للصوت عارضة لهُ يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميزاً في المسموع »

والحروف بعضها — من حيث الصوت — مفردة ؛ و بعضها مركبة . فالمفردة تحدث عن حبسات تامة للصوت — أو للهواء الفاعل للصوت — تتبعها اطلاقات دفعة ، والمركبة تحدث عن حبسات غير تامة لكن تتبعها إطلاقات

والمفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الاطلاق ، وذلك أن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحس فيه بصوتٍ حادث عن الهواء وهو مستكن بالحبس ، وزمان الاطلاق لا يحس فيه بشيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتة انما هي مع ازالة الحبس فقط

وأما الحروف الأخرى فانها تمتد زماناً ، وتفنى مع زمان الاطلاق التام ، وانما تمتد في الزمان الذي لا يجتمع فيه الحبس مع الاطلاق

⁂

ويقول ابن سينا في تشريح الحنجرة انها مركبة من غضاريف ثلاثة :

١ — الغضروف الدرقي ، وهو موضوع الى قدّام ويناله الحبس في المهازيل

عند أعلى العنق تحت الذقن . وشكله شكل القصعة ، حدبته الى خارج والى قدام وتقعيره الى الداخل والى خلف ،

٢ – عديم الاسم ، وهو خلف الدرقي مقابل سطحه ،

٣ – الغضروف الطرجاري ، وهو كقصعة مكبوبة على الغضروفين السابقين

ويقول في تشريح اللسان انه مركب من ثماني عضل : اثنتان تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الأذن يمنةً ويسرة ، وتتصلان بجانبي اللسان ، فاذا تشنجتا عرضتاه . واثنتان تأتيان من أعالي العظم اللامي وتنفذان وسط اللسان ، فاذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان الى قدام فتبعها جزء منه وامتد وطال . واثنتان من العضلين السالفين من أضلاع هذا العظم تنفذان بين المعرضين والمطولين ويحدث عنهما توريب اللسان . واثنتان موضوعتان تحت هاتين واذا تشنجتا بطحتا اللسان

***

هذا ملخص الفصول الثلاثة الأولى ؛ وكلها مقدمات لبيان كيفية حدوث كل حرف من الحروف العربية والحروف الأخرى التي توجد فيما عرفه ابن سينا من لغات آسيا المنتشرة يومئذٍ في فارس وما يليها

وهو يقول مثلاً في بيان كيفية لفظ حرف الخاء انهُ يحدث من ضغط الهواء الى الحدّ المشترك بين اللهاة والحنك ضغطاً قويًّا مع اطلاق ، تهتزّ فيما بين ذلك رطوبات يعنف عليها التحريك الى قدّام ، فكلما كادت تحبس الهواء زوحمت ، وقسرت الى خارج في ذلك الموضع بقوَّةٍ

والقاف يحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تامّ . وأما الهواء فمقداره ومواضعه فذلك بعينه

ويقول في كيفية لفظ الجيم انهُ يحدث من حبس تام بطرف اللسان وبتقريب للجزء المقدّم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النتوء والانخفاض مع سعةٍ من ذات اليمين واليسار واعداد الرطوبة ، حتى اذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذاً يصفر لضيق المسالك ، إلا انهُ يتشذب لاستعراضهِ ويتم صفيرهُ خللُ

الأسنان وتنقص من صفيره وترده الى الفرقعة الرطوبةُ المندفعة فيما بين ذلك متفقعة ، ثم تتفقأ ، الا أنها لا يمتد بها التفقُّع الى بعيـد ولا تتسع ، بل تفوقها في المكان الذي يطلق فيه الحبس

والشين تحدث كما يحدث الجيم بعينه ولكن بلا حبس البتة ، فكأنما الشين جيم لم يحبس وكأن الجيم شين ابتدأت بحبس ثم أطلقت

ويقول في كيفية لفظ الصاد ان الذي يفعله هو حبس غير تامّ أضيق من حبس السين وأيبس وأكثر أجزاء حابس طولاً الى داخل مخرج السين والى خارجه حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي السطح المفروش تحت الحنك والمنخر ويتسرَّب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء فيه من وراء ويخرج من خلل الأسنان

وأما السين فتحدث عن مثل حدوث الصاد الأَ أن الحابس من اللسان فيه أقلّ طولاً وعرضاً فكأنها تحبس العضلات التي في طرف اللسان ، لا بكليتهـا بل بأطرافهـا

ويقول في وصف الفاء التي تكاد تشبه الباء (ڤ — V) انها تقع في لغة الفرس عند قولهم (ڤرندي) [1] تفارق الباء لانهُ ليس فيها حبس تام . وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر وضغط الهواء أشد حتى يكاد يحدث بسببه في السطح الذي في باطن الشفة اهتزاز

ومن ذلك البـاء المشدّدة (پ — P) الواقعة في لغة الفرس عند قولهم (پيروزي) [2] وتحدث بشد قوي للشفتين عنـد الحبس وقلع بعنف وضغط الهواء بعنف

٭ ٭ ٭

وأما الفصل الأخير فهو من أغرب المباحث وألطفها واكثرها حاجة الى الدرس

---

(١) فارسية بمعنى جوهر السيف وقد عربت . والفرس يلفظونها الآن « برند » . وقد زال من لغة الفرس حرف (ڤ) بعد ابن سينا ولم يبق الأ في لغة قبائل الكرد

(٢) بمعنى الانتصار والظفر

والبحث والتدقيق لأن ابن سينا حاول أن يأتي فيهـا لكل واحد من الحروف العربية بما يشبهه من الحركات الغير النطقية ، مثل صدور صوت يشبه حرف القاف عن شق الأجسام وقلعها . والغين عن غليان الرطوبة في أجزاء كبار تندفع الى جهة واحدة . والكاف عن قرع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله . والشين عن نشيش الرطوبات وعن نفوذها في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة. والطاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هنالك هواء له دويّ . والتاء عن قرع الكف بأصبع قرعاً بقوة . والفاء عن حفيف الأشجار

٭٭٭

و بعد فان الذي يطالع الرسالة كلها يظهر له أن ابن سينا كان جديراً بأن يقول في آخرها : « اني قد بلغت الكفاية ، وعبرّت عن المقدار الذي تبلغه مني المعرفة» . وقد أهداها الى الاستاذ أبي منصور محمد بن علي بن عمر الخيَّام وهو الذي اقترح عليه تصنيفها ، ولا يعقل أن يكون أبو منصور هذا حفيد الخيام الخراساني صاحب الرباعيات لأن الخراساني كان معاصراً للرئيس ابن سينا وتلميذاً له

وعلى كل حال فهذا الكتـاب الصغير نموذج للعلم الشرقي الذي لو أتيح له الاستمرار في طريقه حتى يدرك عصر الطباعة فالبخار والكهرباء لكان له شأن غير شأنه

(القاهرة) محب الدين الخطيب

٭ لا يتعادل الحبُّ بين اثنين ؛ بل يكون قويًّا في احدهما ، وهذا الذي يتألَّم ، وضعيفاً في الآخر ، وهو الذي يضجر

٭ إربأ بنفسكَ أن تكون الحبيبَ الذي يلي حبيباً جار أو ظلم ؛ لان الثار يؤخذ منكَ وأنت بريء من الذنب

في رياض الشعر

وعشنا على بؤسٍ ...

لياليَّ ، أبلي من همومي وجدّدي　　لكِ الأمرُ ، لا تقوى على ردّه يدِي
فما أرتجي والأربعون تصرّمت　　ولا عيشَ إلاَّ ينتهي حيثُ يبتدي
سكتُّ سكوتاً لا يَرِبْكِ امتدادُهُ　　فلا خاطري باقٍ ولا الشعر مُسعدي
ولا فيَّ من روح الشبابِ بقيةٌ　　ولستُ بمشتاقٍ ولستُ بموجدِ
حزنتُ على الماضي ضلالاً ومن يَعِشْ　　كما عشتُ لم يحزنْ ولم يتجلدِ
ومالِيَ منهُ خاطرٌ غير أنني　　عدلتُ فلم أفتكْ ولم أتعبّدِ

٭٭٭

سقى الله داراتِ القرافةِ ديمةً　　ترفُّ على قوم هنالك هُجَّدِ
تعوَّدَ كلٌّ بؤسها ونعيمَها　　وعشنا على بؤسٍ ولم نتعوَّدِ
أحنُّ الى تلك المراقدِ في الثرى　　ولو استطيعُ اليومَ لاخترتُ مرقدي
فأنزلتُ جسمي منزلاً لا يملّهُ　　يكونُ بعيداً عن أعادٍ وحسَّدِ
وما يتمنّى الحرُّ في ظلّ عيشةٍ　　تمرُّ لأحرارٍ وتحلو لأعبدِ
كأنَّ بها وقراً على كلّ كاهلٍ　　فمن يتكبّدْ حملَهُ يتكبّدِ

٭٭٭

لقد أتعبتني ، والمتاعبُ جمةٌ ،　　مسيرةُ يومي بين أمسيَ والغدِ
ألما يئنْ أن يستريح مجاهدٌ　　ألما يئنْ أن يبلغَ المنهلَ الصَّدي
تزهدتُ في وصل المعالي جميعها　　ومن يَطْلبها كالطلابيَ يزهدِ
وبتُّ تساوت في فؤادي مناهجٌ　　تؤدّي لخفضٍ أو تؤدّي لسؤددِ

وإنيَ في بيتٍ صغيرٍ مهدَّمٍ كأنيَ في قصرٍ كبيرٍ مشيَّدِ
عفا اللهُ عن قومٍ أتانيَ غدرُهم فربَّ مسيءٍ لم يُسِئ عن تعمُّدِ
وكم من نفوسٍ يستطيلُ ضلالُها ولكن متى ما تُبصرِ النورَ تهتدِ
فزعتُ من الآمالِ باليأس عائذاً فإن تُدْنني منها اللُبانات أبعدِ
فلا ترتعي مني بقلبٍ معذَّبٍ ولا تنجلي مني لطرفٍ مسهَّدِ
فيا ريحُ إن يعصفْ بيَ الشجوُ سكّني ويا غيثُ إن يضرَمْ بيَ الوجدُ أخمدِ
ويا ساكناتِ الطيرِ في دولة الدُّجى أرى، إن دعاكِ الصبحُ، أن لا تغردي
لديَّ شكاياتٌ وأنتِ شجيةٌ فإن تستطيبها لشجوكِ أنشدي
ولا تحسبي التقليدَ يُذهبُ حسنَها فكم حسناتٍ قد أتت من مقلّدِ

* * *

تركتُ الغنى لا عاجزاً عن طلابهِ وأنزلتُ نفسي من منازل محتدي
وهذي بحمدِ اللهِ مني براءةٌ فيا أفقُ سجّلها ويا أنجمُ اشهدي

ولي الدين يكن

الى الله ..!

يا ربِّ اين تُرى تقامُ جهنّمُ للظالمين غداً وللأشرارِ
لم يُبقِ عفوُكَ في السماواتِ العلى والأرضِ شبراً خالياً للنار
يا ربِّ أهّلني لفضلك واكفني شَطَطَ العقولِ وفتنةَ الأفكارِ
ومرِ الوجود يشفَّ عنك لكي أرى غضبَ اللطيف ورحمةَ الجبَّارِ
يا عالِمَ الاسرارِ حسبيَ محنةً علمي بأنك عالمُ الاسرارِ
أخلقْ برحمتك التي تسعُ الورى ألاَّ تضيقَ بأعظمِ الاوزارِ

اسماعيل صبري

لكنَّ مصراً . .

ناظم هذه القصيدة شاعر مطبوع ، عرفته مصر يوم كان ينشر في صحفها باكورة ثمار قريحته . ثم نشر هنا ديوانه . فتوسمنا فيه سليقة شعرية ما زالت تتجلى في كل ما نظمه بعدئذ . وقد أرسل الينا من الولايات المتحدة — حيث هو يقيم الآن — القصيدة الآتية يحيي بها مصر ويحن الى وادي النيل :

أشقى البرية نفساً صاحب الهمم ... وأتعس الخلق حظاً صاحب القلمِ
عافَ الزمانُ بني الدنيا وقيَّدَهُ ... والطيرُ يُحبَسُ منها جيّدُ النغمِ
وحكّمت يدُه الاقلامَ في دمِهِ ... فلم تصنهُ ولم يعدل الى حكمِ
لكلّ ذي همةٍ في دهرِهِ أملٌ ... وكلُّ ذي أملٍ في الدهرِ ذو ألمِ
ويلُ الليالي لقد قلّدنني ذرباً ... أدنى الى مهجتي من مهجةِ الخصمِ
ما حدّثتنيَ نفسي أن احطّمَهُ ... إلاّ خشيتُ على نفسي من الندمِ
فكلما قلتُ زهدي طاردٌ كلَفي ... رجعتُ والوجدُ فيهِ طاردٌ سأمي
يأبى الشقاء الذي يدعونهُ أدباً ... أن يضحكَ الطرسُ الا إن سفكتُ دمي
لقد صحبتُ شبابي واليراع معاً ... أودى شبابي . . . فهل أبقي على قلمي ؟
كأنما الشعراتُ البيضُ طالعةً ... في مفرقي أنجمٌ اشرقنَ في الظُلَمِ
تضاحكَ الشيبُ في رأسي فعرّضَ بي ... ذو الشيب عند الغواني موضِعُ التُهمِ
فكلُّ بيضاء عند الغيدِ فاحمةٌ ... وكل بيضاء عندي ثغرُ مبتسمِ
قلْ للتي ضحكت من لمّتي عجباً ... هل كان ثمَّ شبابٌ غير منصرمِ
قد صرتُ أنحل من طيفٍ وأحير من ... ضيفٍ واسهرَ من راعٍ على غنمِ

⁂

وليلةٍ بتُّ أجني من كواكبها ... عقداً كأني أنالُ الشهبَ من أممِ
لا ذقَ طرفي الكرى حتى تنالَ يدي ... ما لا يفوزُ به غيري من الحلمِ

ليس الوقوفُ على الأطلال من خُلُقي | ولا البكاء على ما فاتَ من شيَمي
لكنّ مصراً وما نفسي بناسيةٍ | مليكة الشرق ذات النيلِ والهرمِ
صرفت شطرَ الصبى فيها فما خشيت | رجلي العثارَ ولا نفسي من الوصَمِ
في فتيـةٍ كالنجومِ الزُهر أوجهُهم | ما فيهمِ غير مطبوعٍ على الكرمِ
لا يقبضونَ مع اللأواء أيديَهمُ | وقلما جادَ ذو وَفرٍ مع الأزمِ
في ذمةِ الغربِ مشتـاقٌ ينازعهُ | شوقٌ الى مهبطِ الآياتِ والحِكَمِ
ما تغربُ الشمسُ الا أدمعي شفقٌ | تنسى العيونُ لديهِ حمرةَ العنمِ
وما سرت نسماتٌ نحوها سحراً | ألا وددتُ لو آني كنت في النسمِ
ما حالُ تلك المغاني بعـد عاشقها | فإنني بعدها للسُهـد والسقمِ
بين الجوانحِ همٌّ ما يخامرُني | الا وأشرقني بالبـاردِ الشبمِ
جادَ الكنـانةَ عني وابلٌ غدِقٌ | وان يكُ النيل يغنيها عن الديَمِ
الشرقُ تاجٌ ومصرٌ منه درّتهُ | والشرقُ جيشٌ ومصر حاملُ العلَمِ
هيهات تطرفُ فيها عينُ زائرها | بغير ذي أدبٍ أو غير ذي شمم
أحنى على الحرّ من أمٍّ على ولدٍ | فالحرُّ في مصرَ كالورقاء في الحَرمِ
ما زالَ والدهرُ تنبو عن يدي يدُهُ | حتى نبتْ ضلةً عن أرضها قدمي

(الولايات المتحدة) ايليا ابو ماضي

﴿ مكارم الأخلاق ﴾

سلوتُ بحمدِ اللهِ عنهـا وأصبحتْ | دواعي الهوى من نحوِها لا أجيبهـا
على أنني لا شامتٌ إن أصابها | بلاء ولا راضٍ بوجهٍ يعيبهـا

شيخ النحاة

عشرون عاما

في عالم التحرير



اسكندر شاهين

في أواسط الشهر الجاري يغادر مصر حضرة الكاتب المعروف اسكندر افندي شاهين رئيس تحرير جريدة « الوطن » قاصداً الديار البرازيلية — وحضرته من الكتّاب المجيدين في اللغتين العربية والانجليزية فأحببنا بهذه المناسبة ان ننشر للقرّاء صورة هذا الصحافي القديم ، وان نُشيّعَهُ بكلمة وداع باسم الصحافة التي خدمها زهاء ربع قرن ، سائلين له في غربته كلّ توفيق ونجاح . وقد نشرنا في الصفحات التالية كلمته في وداع مصر ، قال :

في مثل هذا اليوم من عشرين سنة مضت — في اليوم الأوّل من شهر يوليو سنة ١٨٩٣ — رأيتُ ان أبتاع من بعضهم جريدةً أسبوعية اسمُها « الرأي العام » كنت أطبعُها لشابينِ سوريينِ لم يتفقا على تحريرها، ولكنهما اتفقا على تركها لي ؛ فاشتغلتُ بها من ذلك اليوم ، وجعلتُ أُغيّر ما بها على مهلٍ ، وأحرّرها من رقّ الرياء ، لأنها نشأت على عبادة السلطان عبدالحميد ومدح أبي الهدى ، وما بقيَ من أساليب الوطنية التي كانت شائعةً في ذلك الزمان ، حتى جعلتها « الرأيَ العام » المعروف في أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي . وتدرّجتُ منها الى الإشتغال بتحرير الجرائد اليومية ، وبغير هذا من فنون القلم الى ان بلغتُ هذا النهارَ من عمريَ الصحافي ، وذكرتُ ذيّاك العمرَ الطويلَ وهاتيك الحوادث الكثيرة والعبر المتوالية ؛ فقلت إني آنَ لي أن أستريحَ قليلاً من عناء حرفةٍ لم تفارقني ولم أخنْ عهدَها في كلّ هذه السنين ؛ لعلّ الراحةَ تجدّد القوى وتنسي بعض الذي مرّ من متاعب التحرير والتحبير

وماذا أقول وما الذي أسطّر هنا من خزانةٍ وعت أموراً تضيق بها المجلدات ، وذاكرةٍ طالما أغنتني عن بعيد الكتب وعزيز المؤلفات ؟ لعمركَ لو انني أسطرُ عشرَ الذي يجول الان في ذهني بينا أنا أخطّ هذه السطور لاغنيتك عن مطالعات أسبوعٍ أو شهرٍ من الزمان . أقول ذلك لانني ذاهبٌ الى ابعد القارّاتِ عن هذا القطر لاقضي فيها اشهراً ، وليس يدري غيرُ الله كيف يكون الختام . ان النفسَ ألفت بلاداً قضيت فيها زهرةَ العمر وجئتها من نحو ٢٩ عاماً ؛ فعسيرٌ عليها أن تحنّ الى وادٍ

غير وادي النيل ، أو ان تطلبَ اللقاء بخلاّنٍ غير الذين عاشرتهم كل هذا العمر الطويل . فسواءٌ جرت سفينة الارزاق بما تشتهي نفسي وتمنى جوارحي ، أو سارت الاقدار بي في سبيلٍ آخر ، فلأذكرنّ عهد الولاء الى آخر العمر . والله يفعل بعباده ما يشاء

ولقد ساءني اناسٌ مدةَ هذه السنين وساء ظنهم بي فكانوا يتهمونني في أول الأمر بخيانة الدولةِ وعداء السلطان ؛ ثم رجعوا الى رأيي بعد ان طال عهد الجفاء . واتهموني بعد ذلك بمصانعة الدولة الانكليزية لانتفعَ باموالها ؛ ثم ظهر ان التهمةَ أبعد عن الصدق مما بين القطبين . وقالوا اني كنتُ مفرّقاً بين طوائفِ المصريين ، فثبت نقيضُ الذي قالوا بعد ان تغيرت بعضُ الخواطر الى حين . وقد مضى الآن زمان هذه المزاعم ومضى تأثيرها ، فكان على الجملة كما اتمنى ، وبقيَ في الاذهان عامةً حقيقة اعدُّها اثمنَ من المال المكنوز ؛ الا وهي انني خدمت الحقّ في كل حياتي الصحافية خدمةَ الذي يقدِّمُ الحقّ على كل مصلحة أو شأن . وعرفتُ بالصدق لا يختلفُ ضميري عن لساني ، ولا تخون نفسي الحقّ في حال من الاحوال . هذا هو فخري وهذا جزائي من الناس بعد الاشتغال عشرين سنة بالكتابة والتحرير ؛ ونعم الجزاءُ ونعم الاجرُ الكبير

وليس يؤخذُ مما تقدّم أنني ادّعي العصمةَ والكمال ؛ بل إن خطتي كانت خطةَ الصراحة والصدق . فسواء صدقت آرائي في هذه المسائل العديدة التي كتبتُ فيها أو أخطأت ، فانّ القولَ كان صادراً عن اعتقاد بصحته ، وعن عزمٍ على ايراد الحقيقة واهمال كل مصلحة يفيد فيها

الكذب والرياء . فاذا قدّر لي أن أعودَ الى هذا القلم رجعتُ اليهِ ولم ارجع عن المبدإ الذي أفخر بهِ وقد رأيته انفعَ من مباديء الذين يتقلبون مع الاهواء ، ويبدون في كل يوم بشكل جديد

واسأتُ في ما مضى الى كثيرين ايضاً ربما كان معظمهم من الزملاء الذين يقضي اختلافُ الرأي بمجادلتهم من حين الى حين . والله يشهدُ أنني ما جرحتُ نفساً بقصد ايلامها ولا تهجمت على رجل بالطعن ، وأنني كنتُ أحزنُ لما يصيبُ الخصمَ الصحافي ولا حزنَ اصحابه والاخصاء الاقربين . على ان المطاعنَ الصحافية كلها خطأ قبيح ، ولا بدَّ أن يكون قلمي قد زلَّ مراراً وأغضبَ بعض الرفاق فاسألهم الصفحَ والمعذرة ، وأرجو ان يكون عامنا الحالي اخرَ أعوامِ التجريح والمشاتمة في عالم التحرير

قلتُ انَّ الذي تعي ذاكرتي من حوادث هذا العمر الصحافي والذي يعنُّ لي ايرادهُ شيء كثير . فاذا شاء قراء الوطن ان اوافيهم بشيء من هذا ومما يفيدني الاختبار القادم في قارة اميركا الجنوبية فعلتُ بعد ان اذوق الراحة أياماً . واماَّ اليوم فاكتفي بشكرٍ عام ارسلهُ الى كل صديق كريم وذي وداد طلب لي الخير فيما مضى ؛ وأسأل الله ان يوفق كلاًّ منا الى الغرض الذي يطلبه ، وان يديمَ ايامَ الصفاء والهناء لجميع الاخوان الذين عرفتهم في وادي النيل

اسكندر شاهين

صاحب البرق



عشتُ شقيًّا ولم أبالِ　　ولم يمرَّ الهنا ببالي
اعلّلُ النفسَ في نهاري　　والزمُ الدرسَ في الليالي
رقَّ شعوري فرقَّ جسمي　　ورقَّ ديني ورقَّ مالي

بشاره خوری

اذا قلتَ في تعريف « البرق » : إِنها « جريدة اجتماعية ادبية انتقادية» — كما هو مكتوب في صدرها — فانك لم تخصصها بهذا القول؛ ولكنك اذا قلتَ فيها : إِنها جريدة يحبها النشء السوري المتأدب ، وإنها

في سوريا جريدة السوريين المهاجرين في الأقطار الأميركية فقد ميزتها حينئذٍ بصفتين خصيصتين بها

نشأت في بيروت على أثر اعلان الدستور في تركيا ، ولم يكن لها رأس مالٍ ماديّ قط ، ولا معنويّ سوى أدب منشئها ونشاطهِ ، وسوى تلك الفوضى الهائلة التي انتشرت في البلاد يومئذٍ . على أنها ما برحت سائرة في طريقها يدفعها نشاط الشباب الى الأمام ، وتحببها حرية القلم الى القرّاء حتى بلغت اليوم السنة الخامسة من حياتها وقد بلغت معها شأواً كبيراً من النجاح

هذه هيَ جريدة البرق التي اثنى عليها حضرة الكاتب الشهير سليم افندي سركيس ذلك الثناء الطيّب في حفلة اكرام خليل افندي مطران الشاعر المحبوب ؛ فانّ البرق دعت انصار الأدب في سوريا الى الاشتراك في تكريم شاعر القطرين وارسلت اليهِ باسم اولئك الأدباء هدية جميلة اعترافاً بفضله ونبوغهِ

أما صاحب البرق ، بشاره افندي الخوري ، ففي ما دون الثلاثين من العمر . وهو ذكيُّ الفؤاد ، عصبي المزاج ، سريع التأثر . اذا كتب راضياً سالت كلماتهُ رضىً وصفاءً ، واذا كتب غاضباً قطر قلمهُ سمّاً زعافاً . وهو شاعر مجيد ليس للصناعة أثرٌ ما في شعره وان كان أثرها يظهر على الغالب في نثره ؛ ذلك لأنهُ يقول الشعر عفوَ الخاطر غير مغصوبٍ عليهِ ، ويكتب على الأكثر محمولاً على الكتابة إما بحكم السياسة وإما بحكم الأحوال . ولقد أُتيح « للزُّهور » أن تنشر شيئاً من شعره في بعض

أجزائها السابقة — والزهور كما يعهدها القرّاء لا تنشر من الشعر الاّ الجيّد المختار — فكان في الذي روته لهُ، على قلّتهِ، دليلٌ على الإجادة والمقدرة. على انّ ذلك القليل لم يكن كافياً لاظهار الشاعر بمظهرهِ الحقيقي من الشاعرية فرأينا أن نختار اليوم مما وقع الينا من شعره ما لعلَّه ان يكون ادلّ على فضلهِ، وافصح عن بيانهِ وادبهِ

قال من قصيدة :

يا هندُ قد ألِفَ الخميلةَ بلبلٌ ... يشدو فتصطفقُ الغصونُ وتطربُ
هوَ شاعرُ الأطيارِ لا متكبّرٌ ... صَلِفٌ ولا هو بالإمارةِ معجَبُ
تتعشَّقُ الأزهارُ عذبَ غنائهِ ... فاذا شدا فبكلِّ ثغرٍ كوكبُ
والغصنُ — والاوراقُ آذانٌ لهُ — ... ماذا تُرى فيها النسيم يتبتبُ ؟
واذا الضحى لمعت بوارقُ ثغرهِ ... نادى باجناد الطيورِ تأهبوا
فسمعتَ للأطيار موسيقى على ... نغماتِها يأتي النهارُ ويذهبُ
والصوتُ موهبةُ السماء فطائرٌ ... يشدو على غصنٍ، وآخرُ ينعبُ
هي للهزارِ مكانةٌ من أجلها ... دبَّت بافئدةِ الحواسدِ عقرَبُ
فتألبوا من حولِ أشمطَ أشيبٍ ... يحدو بهِ للشرّ أشمطُ أشيبُ
فاذا همُ حولَ الغرابِ عصابة ... باحطَّ من أخلاقها تعصَّبُ
فشكوا لبعضهم الهزارَ وجذوةً ... بفؤادِ كلٍّ منهمُ تتلهّبُ
وتشاوروا فاذا الوشايةُ خيرُ ما ... شَرَكٍ به يقعُ الهزارُ فيُعطبُ
فسعوا بهِ فاذا الهزارُ مقفَّصٌ ... والبومُ منطلِقُ الجوانحِ يلعبُ

***

يا هندُ إني كالهزارِ فان يكنْ ... هو مذنباً فانا كذلك مذنبُ

وقال من قصيدة :

ايهِ لبنانُ والجداولُ تجري فيك برداً فتنعش الظمآنا
ايهِ لبنانُ والنسيمُ عليلاً يتهادى فيعطف الأغصانا
حبذا السفح معبداً لصغار الـ ـطير تشدو لربها الألحانا
خافقات الجناح للشمس آناً خافقات الفؤاد للحب آنا
آمنات في السفح كاسرة الجـ ـوّ فلا تأتلي بهِ طَيَرانا
فترفّ الاديمَ تختلس الحـ ـبَّ وتظمى فتقصدُ الغدرانا
واذا الشمس ودَّعت ودَّعت تلـ ـك السواقي والزهرَ والافنانا
واستقرّت في وكرها آمناتٍ كلُّ قلبين يخفقان حنانا
مطبقات الجفون يحفظها الأمـ ـن كما الجفن يحفظ الانسانا

***

ايّهاذي الطيور مَن قسم الحـ ـظَّ ومَن قال للشقا كن فكانا
ايّهاذي الطيور حسبكِ في السفـ ـح انطلاقاً جوانحاً ولسانا
تجيدينهُ البيان على الأفنا ن والناس لا تجيد البيانا
وتعيشين والرجال بلبنا ن يموتون شقوةً وهوانا
ان كفّاً تفصّل الثوب للعر سِ لكفٌّ تفصّل الاكفانا

ولهُ في بكاءِ والده :

وقفتُ حيالَ القبر ما انا نابسٌ بشعرٍ ولكن مقلتي تنبس الشعرا
وهل كنتُ عند القبر غيرَ قصيدةٍ بواكي قوافيها تُرى دون ان تُقرا
فتىً دامع العينين مضطرب الحشا يكفكف باليمنى ويسند باليسرى
وفي عينه ما يعجز الوصفَ بعضهُ وفي صدره ما بعضهُ يحرج الصدرا

وله من قصيدة ضمّنها حكاية قال :

فتىً يتعثَّرُ في لؤمِهِ . كما يتعثرُ في جهلهِ
نواظرُهُ تحت أقدامهِ كباحثةٍ ثَمّ عن اصلهِ
لتسقطُ امُّ الجنين آبنَها اذا حلمت بفتىً مثلهِ
ولو ابصرت عينُهُ وجهَه لقلتُ العفاء على نسلهِ

ولهُ وقد طالما جلس الى الكأس حزيناً فما زال بها حتى سُرّيَ عنه وفارقها يتهادى انبساطاً :

تبسمْ وشعشعْ لي السلافة في الكاسِ فثغرك في ليل الحوادث نبراسي
ولا تامَسِ الكأسَ التي قد رشفتها أخاف على كفّيك من حرّ انفاسي
يقول ليَ الآسي فوآدك موجعٌ فمَن انبأ الآسي بفعلك يا قاسي
وينصحني الاخوانُ بالخمر إنها على زعمهم تشفي من الألم الراسي
فها انا استشفي بها كلَّ ليلةٍ الم ترَني استتبعُ الكأسَ بالكاسِ
واعجبُ من نفسي ودائي بمهجتي أعالجهُ بالخمر ترقى الى رأسي

وله من قصيدة في وصف ارز لبنان الشهير :

جبالٌ على شكل الهلال محيطةٌ بفرق قاديشا تناجي الغواديا
قوائمُ حول الأرز منّاعةٌ له اذا صادمته الحادثات عواديا
وما الارز الا آية اللهِ في الورى فبوركَ ضخمَ الجزع ريّانَ ناميا

أ وليس في هذه المختارات القليلة ما ينمُّ عن شاعرية فطرية تُحلّ صاحبها منزلةً عاليـة بين الشعراء المجيدين ؟ أنّ المستقبل بسّام لصاحب البرق، والوسائل متوافرة لديه من ذكاء عزم وتوقّد فكرة ونشاط شباب

ثمرات المطابع

* خواطر في الحقوق والادب – هذه مجموعة تلك المقالات الغراء التي كان ينشرها في جريدة الاخبار حضرة الكاتب الفاضل سامي افندي الجريديني المحامي المشهور . وانّ الادباء ليذكرون مقدار التاثير الذي كانت تؤثرهُ مباحثهُ الطليّة في النفوس ، وصدى الاستحسان الذي كانت تجده كل مقالة منها . جمعها حضرتهُ ضناً بفائدتها وحرصاً عليها فجاءت كتاباً شاملا ابحاثاً دقيقة في مواضيع شتىّ كالربا والطلاق وحقوق الملاك وحقوق الحياة ونظريات صادقة في اداب اللغة العربية مفرغة جميعها في قالب لطيف رشيق العبارة سهل المأخذ لا يبعد عن الافهام ، مؤيدة دائماً بالدليل تلو الدليل والحجة اثر الحجة مع ظرف وكياسة في التعبير وذوق سليم في الانتقاد . وقد عرف قراء الزهور مقدرة سامي افندي في الكتابة ، واجادته في التعبير من ترجمته لرواية يوليوس قيصر التي نشرت متسلسلة في هذه المجلة فكان لها وقع حسن جداً في النفوس واتخذها تلاميذ المدارس معواناً لهم على تفهم شكسبير واستيعاب اغراضه ومعانيه . فنثني على حضرته كل الثناء

* الإسعاف الاوّلي [١] — لم يعجب أحدٌ من عارفي فضل الدكتور محمد عبدالحميد ونشاطهِ في خدمة العلم من وجود اسمهِ في الشهر الفائت مدرجاً بين اسماء الذين أنعمت عليهم الحضرة الفخيمة الخديوية بلقب

(١) يُطلب من موٴلفهِ في قليوب ومن مكتبة المعارف في مصر وثمنهُ ١٠ قروش

البكوية ، بل قابل الجميعُ هذا الانعام بالاستحسان التامّ بالنظر الى ما لحضرة هذا الطبيب المجتهد من الخدم الجليلة في سبيل العلم . فان كتبهُ الطبية التي يتابع نشرها باللغة العربية أصبحت تؤلف مكتبة قائمة بنفسها وآخر كتاب اتحفنا بهِ هو كتاب « الاسعاف الاولي » الذي يتضمن ما يجب عملهُ حين حدوث اصابة أو وقوع طارئ ريثما يحضر الطبيب ، مما يجب أن يعرفهُ الجميع . ولا يخفى ما في هذا الموضوع من الفائدة . فنثني على همة الدكتور عبد الحميد بك ونرجو لمؤلفاتهِ النفيسة كل رواج

* تاريخ الحرب البلقانية [١] — يحملُ الينا البريد اكداساً من الكتب الافرنجية الموضوعة في تاريخ الحرب التي تأججت نيرانها هذه السنة في شبه جزيرة البلقان . وقد رأينا فريقاً من كتاب العربية طرقوا أيضاً هذا الموضوع ، مما دلَّنا ان المؤلفين عندنا اخذوا ايضاً يضعون الكتب في الحوادث الجارية لفائدة القراء ، ومن هذا النوع « تاريخ الحرب البلقانية » لكاتبه المنشيء المتفنن سليم افندي العقاد الصحافي البيروتي المعروف . وقد تناول فيه لمحةً من تاريخ الدول البلقانية وجغرافية بلادها ومقدمات تلك الحرب الطاحنة وما جرى فيها من المواقع ، وما دار من المفاوضات كلّ ذلك بعبارة طلية منسجمة تنمّ عن عهدٍ مكين بين الكاتب والقلم . والكتاب مزين باربعة عشر رسماً وخريطتين حربيتين

* رجال المعلّقات العشر [٢] — كتابُ نفيس وسفرٌ جليل اهدتهُ

(١) مطبعة الهلال — ثمنهُ ٤ قروش ويطلب من المكاتب ومن مؤلفه في شارع المهراني بالفجالة (٢) طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت . ويُطلب في مصر من مكتبة المنار

الينا مكتبة المنار الشهيرة في مصر . وقد وضعهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى الغلاييني مدرّس اللغة العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية في بيروت ، وضمنّهُ تاريخ شعراء المعلقات العشر وانسابهم ونفيس اشعارهم وما اتفق لهم من الحوادث مما يجدُ القارئ فيه لذةً وفائدة كبيرتين . وقد ضبط الشعر بالشكل الكامل وشرحهُ شرحاً وافياً لمساعدة المطالع على تفهّم المفردات والمعاني . وصدّر الكتاب بمقدمتين جليلتي النفع ضافيتي الذيول : الاولى تتضمن خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام ، والثانية تشتمل خلاصة تاريخ ادب اللغة العربية من لدن العصر الجاهلي حتى الزمن الحاضر . ولم يدّخر المؤلف وسعاً في مراجعة الدواوين وكتب الأدب القديمة والحديثة ، حتى جاء عمله متقناً وافياً بالغرض . ولا نشك في ان الاقبال سيكون عظيما على هذا الكتاب الجميل في ابان النهضة العربية الحاضرة

* منتخبات الشيخ أمين الحدّاد – قلنا في « الزهور » (سنة ٣ صفحة ٣٠٧) كلمةً في المرحوم الشيخ امين الحداد من حيث هو كاتبٌ وشاعر ، فلا حاجة بنا اليوم الى زيادة القراء تعريفاً بهِ . انما يسرّنا ان نعلن محبي النظم الرائق والنثر الطلي انهُ صدر في عالم المطبوعات كتابٌ نفيس جمع بين دفّتيهِ مئتين وثلاثين موضوعاً من المواضيع التي جال فيها قلم الفقيد . والفضل في نشر هذا الكتاب عائد لحضرة الأديب المشهور الشيخ سلامه حجازي الذي اراد ان يطبعه على نفقتهِ الخاصة تخليداً لمآثر ابناء الحداد وتذكاراً لاشتغاله مع المرحوم الشيخ نجيب بفن التمثيل

العربي الذي بلغ على يدهما مبلغاً بعيداً من الاتقان

* صحيفة طفل [١] — الانسة اوليفيا عبد الشهيد الأقصرية كاتبة يحقُّ أن يقال فيها انها تغمس قلمها عندما تكتب في دموع عينيها او دم فؤادها لأن كتابها النفيس العائلة المصرية (زهور سنة ٣ صفحة ٣٢٥) كله حسٌّ وشعور اما كتيّبها الجديد فهو « صحيفة طفل » كتبها « شقيقها الوديع » وعلقت هي عليها « ابتسامة فتاةٍ » ، ابتسامة جميلة تترقرق في خلالها دمعة مؤثرة

* آداب المراسلة [٢] — كتابٌ وضعهُ حضرة العالم الفاضل الخوري بطرس البستاني ، وضمنه كلَّ ما يجب على الطالب معرفته من اصول المراسلة وقواعدها وانواعها المتعددة ، وشفعهُ بامثلةٍ كثيرة تمرّن التلميذ على تطبيق تلك القواعد . وفي ذيل الكتاب مواضيع شتى ليتوسع فيها الطالب فتتقوّى فيهِ ملكة الانشاء . كل ذلك باسلوبٍ جليّ واضح ، مما يجعل لهذا الكتاب فائدةً كبرى

* حديث القلوب [٣] — عرّفنا القراء بالكاتب الشهير لامينه في الزهور (سنة ٢ صفحة ٢٩٣) يومَ نشرنا فصلاً له ترجمه لهذه المجلة الاديب حنا افندي صاود . وقد اكمل حضرتهُ ترجمة الكتاب برمتهِ ونشره لقراء العربية فجاءت الترجمة سلسة العبارة فصيحة الاسلوب

---

(١) مطبعة التوفيق في مصر

(٢) طبع في المطبعة العلمية ويطلب من المكتبة العمومية الشهيرة في بيروت وثمنه فرنك ونصف　(٣) مطبعة جرجي افندي غرزوزي في الاسكندرية

* التصريف الملوكي [١] — هذا كتيّب في التصريف من صنعة أبي الفتح عثمان بن عبدالله ابن جنّي النحوي المشهور عنيَ بتصحيحهِ وشرحهِ السيد محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي وطبعته شركة التمدن الصناعية. وهو كتاب حريّ بطلبة قواعد اللغة وأصولها ان يطالعوه بامعان وتدقيق لما فيه من الفوائد

* زهرة الشباب في لغة الأعراب [٢] — جاءَنا الجزء الاوَّل من هذا الكتاب لمؤلفهِ الأديب السيد عثمان افندي لطفي من المدرسين بمدرسة سعيد الأوَّل، وهو يشتمل على قواعد النحو على طريقة السؤال والجواب ، ويلي كلّ درس تمرين على القواعد التي مرّ شرحها . فنشكر للمؤلف غيرته على لسان العرب

* تربية الطفل [٣] — للدكتور سرو بيان طبيب مستشفى لادي كرومر وطبيب ملجإِ الاطفال اللقطاء في مصر عناية خصوصية بنشر الكتب الطبيَّة المفيدة التي لا غنى عن الرجوع اليها . ومن هذه الكتب كتاب تربية الطفل وهو على صغر حجمه جامع لفوائد جلّى اذا نشئ الطفل بحسبها نشأ قويّ البنية جيد الصحة . فنوجه انظار الامهات خصوصاً الى هذا المؤلَف المفيد ونتمنى له الرواج

---

(١) يُطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر وثمنهُ قرشان صاغ

(٢) مطبعة جرجي افندي غرزوزي بالاسكندرية وثمنه قرشان

(٣) طبع في مطبعة المعارف ويطلب منها وثمنه ٤ غروش صاغ

جناية شبرا

مررت مبكراً في الصباح بدار بوليس الازبكية في ميدان باب الحديد ، ودخلت على حضرة المأمور أروم محادثتهُ لعلّي أن استفيد منهُ خبراً ما لجريدتي « الأيام » التي أنشرها في مصر منذ عهدٍ بعيد . وكانت بيني وبين هذا الموظّف النشيط صداقة قديمة العهد لم يكن يمنعني من أجلها شيئاً يجيزهُ لهُ القانون . وفيما نحن نتحدّث سمعنا ضجيجاً عالياً في باحة الدائرة ، وصارخاً يصرخ ملء فيه : أين المأمور؟ أين المأمور؟ فالتفتَ اليَّ صاحبي وقال : انَّ خلف هذا الصياح أمراً جللاً . فتبسمت وقلت : ذلك ما جئت اليك من أجله . ولم اكد ألفظ الكلمة الأخيرة حتى دخل علينا رجل فوق الخمسين من العمر تدلُّ ملامحهُ على القلق والخوف . ولم يتمهَّل ريثما يسألهُ صاحبي عما يريد من مفاجأتهِ لنا على تلك الصورة بل قال : تفضَّل يا حضرة المأمور الى منزلي نمرة ١٣ بشارع سلامه في شبرا ، فقد ارتُكِبَت الليلةَ فيهِ جناية فظيعة . انَّ يداً أثيمةً امتدَّت الى ابنتي في سريرها فقتلتها شرَّ قتلة . . مسكينة ادماء ! واهاً عليكِ يا ادماء !

فقال المأمور وقد مدَّ يدهُ الى التلفون : ومَن القاتل ؟

فأجاب الرجل : لا أعرفهُ يا سيدي . انا أطلنا السهرَ الليلة البارحة اذ كنَّا نعدُّ المعدَّات لحفلات هذا النهار ، فقد كان اليوم موعداً لزواج ادماء بابن عمّها ووارثي الوحيد بعدها ، ونمنا على أن نبكّر الى العرس فبكَر الينا المأتم

وفيما كان الرجل يتكلم ، كان المأمور قد أخذ يخاطب بالتليفون وكيل النيابة العمومية

ولم تمضِ الاَّ دقائق قليلة حتى وقفت بنا العربات أمام المنزل المعيّن. وكنتُ

قد استأذنتُ صديقي في مرافقتهِ فركبت الى جانب والد ادماء ، وفاتحتهُ الحديث قائلاً : ألا تشرّفني بمعرفتك يا سيّدي ؟ أما انا فاسمي : وسيم الريّان صاحب جريدة «الايام» ورئيس تحريرها فقال : وانا فرج الله خوري تاجر مصوغات وجواهر في الخان الخليلي

وكانت باحة المنزل حين وصولنا قد كادت تغصّ بالناس وهم يتهامسون بينهم ؛ فامر المأمور رجالهُ بتفريقهم ، ثمَّ دخل ودخلنا وراءه فلقينا الخادمة تبكي بمرارة وتتأوه على سيدتهـا . وكان هنالك أيضاً شابٌ في نحو الثلاثين من العمر يروح ويجيء قلقاً مضطرباً ، ولم يكن في عينيهِ اثر للبكاء قط ؛ غير انَّ بياض المقلتين كان قد تحوّل الى احمرار قرمزيّ كأن الدم جال فيهما بدلَ الدمع

ثمَّ سأل المأمور صاحب الدار عن مكان وجود الجثة ، فمشى امامنا الى غرفة في أقصى المنزل وقال : هنا . . هنا غرفة أدماء . ودخلنا فابصرنا على سرير في احدى الزوايا فتاةً شاحبة اللون ، واحدى يديها ملقاة على جانبها الأيسر حيث تدفّق الدمُ فضرَّج ملابس نومها البيضاء واغطية فراشها . وهي ما تزال في السرير كأنها نائمة نومةً طبيعية ، ممّا دلّ على أن قاتلها فتك بها في خلال رقادها . وكانت على الارض، حذاء السرير ، سكّين حادّة من السكاكين التي تُستعمل في مطابخ البيوت ؛ وهي ملوّثة بالدم أيضاً . أما الجاني فلم يكن أحد يعرف شيئاً عنهُ ؛ غير انّ خفير الحيّ شهد بعدئذٍ بأنهُ أبصر في المنزل المقابل غرفةً بقيت مُنارةً معظمَ الليل ، وخيالَ شابٍ كان يروح ويجيء فيها حيناً بعد حين . ثمَّ انطفأ نورها في نحو الساعة الثالثة صباحاً

وأثَّر فينا جميعنا منظر الجثة وعلى مقربة منها الآلة القاتلة فارتعشنا واقشعرّت ابداننا . وكان الطبيب قد دخل الغرفة حينئذٍ ؛ فجسَّ نبض الفتاة ، ثمَّ انحنى باذنه على صدرها يتسمّع خفقان قلبها . وكأنما خامرهُ شكّ في موتها فأخذ مرآة وادناها من فمها برهة ، ثم تأملها فأبصر عليها شبه غشاوة مما دلهُ على انهُ لم تزل في ذلك

الجسم بقية من الحياة . فالتفت الينا وقال : هي حية لم تمت بعد ! وكأن لفظة الحياة نبّهت خطيب الفتاة فأجفل وتقدّم خطوة الى السرير محملقاً في الطبيب كمن فوجىء بما لم يكن يتوقع . أمّا الأب فترامى على أقدام الطبيب وهو يقول لهُ : أحيها . . . بربك أحيها . ثمَّ جثا يصلّي

ورأيت في تلك الساعة ما لم أرَهُ من قبل : أباً جاثياً يدعو الله وملء نفسه خشوع ورجاء وملء ناظرَيه ذلّة وحزن ؛ وعاشقاً تتنقّل نظراته من السرير الى الطبيب الى السكّين ؛ ورجالَ حكومة واجمين ينظرون بلهفة وأمل ؛ وطبيباً أحدقت به القلوب كأنّ كهربائية انتقلت منها الى يديه فحركتهما على ذلك الجسم المسجّى بدون حراك . ورأيتني وحدي في ذلك الموقف ثابت الجأش أرى وألاحظ ، وأعي غير ذاهل ، حتى لقد ظنتني اسمع خفقة كلّ قلبٍ في كلّ صدر ، واحسّ دبيب كلّ خاطرٍ في كلّ ضمير

حينئذ أشار الطبيب فخرج الجميع من الغرفة ، واقام هو وحده يعالج الفتاة . وبثّ المأمور رجاله في المنزل وحواليه ، ثمَّ أخذ في التحقيق الأوّليّ فعرف أنّ ربَّ البيت يسمَّى فرج الله خوري وأنّه يتَّجر في الخان الخليلي بالمصوغات والحجارة الكريمة ، وأن ابنته وحيدة لهُ واسمها أدماء وقد توفيت والدتها وهي في نحو الخامسة من عمرها فربّاها ابوها وأدّبها في المدارس ولم يشأ أن يتزوج ثانية حبًّا بها وغيرة عليها . امّا الشاب خطيب ادماء فاسمه سليم خوري وهو ابن أخٍ للخواجا فرج الله ؛ هاجر بعد وفاة ابيه الى الترانسفال واقام فيها نحواً من عشر سنوات ، ثمَّ جاء القاهرة للتزوّج بأدماء والاقامة في هذا القطر

وفي نحو الساعة التاسعة جاء وكيل النيابة العمومية وشرع في التحقيق الدقيق فلم يلبث أن توصّل الى معرفة الجاني ؛ فان الخادمة اطلعتهُ على علاقات أدماء بفتىً يدعى «فؤاد اليافي» يسكن منزلاً مجاوراً . وكان كثيراً ما يحادث أدماء من النافذة

متى ختم الليل ونام الخواجا فرج الله . وكانت الخادمة تنقل رسائله الى سيدتها وتحمل أجوبتها اليه ؛ قالت وأن آخر رسالة جاءت بها منه كانت في نفس الليلة التي ارتكبت فيها الجناية وقد ناولَها اياها بيدٍ مرتجفة وفي نظراتهِ معنى الاضطراب والغضب . . .
وعثر وكيل النيابة على تلك الرسالة تحت وسادة ادماء فاذا هي هذه :

« وعدتِ ثم أخلفتِ . ويلٌ لكِ يا ظالمة ! أعقبى حبّنا أن تكوني زوجةً لسواي ؟ ؟ تالله لن يكون ذلك ابداً . ليس والدكِ الذي أراد ، بل أنتِ التى آثرتِ ابن عمك عليَّ . كذبتِ في غرامكِ ، كما كذبتِ في عهودكِ . أمَّا أنا فلن اكذب في عزمي . آليتُ ألاَّ يسعد ابن عمّكِ بكِ ، وأشقى أنا بدونكِ . الويل لي اذا كان المأتم غداً بدلاً من العرس ! ! »
فؤاد

ثمَّ طرق رجال البوليس منزل فؤاد اليافي وقد اقتنع وكيل النيابة كلّ الاقتناع بأنَّ فؤاداً هو الجاني لا غيره ، وبأن الذي دفعه الى ارتكاب الجريمة انما هو الغيرة والغرور . ومما ايَّدَ هذا الاقتناع أن فؤاداً لم يبت ليلتهُ كلَّها في منزلهِ ؛ فقد جاء في نحو الساعة السابعة مساءً ، وخلا بنفسهِ في غرفتــهِ الخاصة دون ان يتناول طعام العشاء . ولما افتقدَه أهله في الصباح لم يجدوه ، ولكنهم وجدوا رسالة منهُ على مكتبهِ . فأمرَ وكيل النيابة بها فاذا فيها ما يأتي :

الى والديَّ العزيزين

ليس في استطاعتي ان أشهد غداً عرس جارتنا ادماء لأن الغَيرة تأكل قلبي . لذلك أنا ذاهبُ الساعةَ الى حيث لا أدري . ومتى شفيَت نفسي من آلامها عدتُ اليكما . سامحا زلّتي ، وترقبا أخباري
فؤاد

ودقّقتِ النيابة في استجلاء حقيقة العلاقات بين فؤاد وادماء ، فوقعت على رسائل كثيرة في حوزة الفتاة ازالت كلَّ شبهة عن غرام فؤادٍ وغيرته . واتصلت بها من شهودٍ كثيرين امور تافهة في حدّ ذاتها ، ولكنها اذا أضيفت الى مجمل القرائن

كانت دلائلَ قوية على ثبوت الجريمة على ذلك الشاب . ولما توافرت الأدلّة على هذا الشكل أمرت النيابة بتعقّب الجاني، وضيّقت عليهِ سُبُل الفرار من القطر المصري بما بثّتهُ من العيون والارصاد

وفي ذلك النهار نفسهِ ورد على نيابة مصر تلغراف من بوليس الاسكندرية يُفيد القاء القبض على المتهم وهو يتأهب للسفر الى أوروبّا على احدى البواخر . فجاء هذا دليلاً جديداً على أنّ فؤاداً هو الجاني ، لأنّ سفرَه الفجائي لم يكن الاّ بغيةَ الفرار من وجه القضاء والعدل

واتّصل خبرُ الجنـاية بصحف العاصمة فنشرتهُ ، كعادتها في أمثاله ، مقتضباً ومذيّلاً بكلمات الثناء على مهارة النيابة العمومية ، وتيقّظ رجال البوليس . أما أنا ، وقد رأيتُ بعيني ، وسمعت بأذني ، فاني رويتُ الحادث في « الأيام » مسهباً في تفصيل وقائعهِ كلّ الاسهاب . ثمّ قلت في ختام كلامي : انّ على النيابة أن لا تغشى عينيها الأدلّةُ التي اعتبرتها مثبتةً للجريمة على فؤاد افندي اليافي ، فقد يحتمل ان تكون تلك الأدلة من نحو الشذوذ في الاتفاق فيكون فؤاد بريئاً من التهمة التي ألصقها بهِ نكد الحظّ

لم أقل ذلك عفوَ الخاطر او من قبيل التفلسف في الامور ؛ وانما بنيت قولي على توافرِ عقائد في نفسي حسبتها براهين تجيزُ ليَ نفيَ التهمة عن فؤادٍ ، والقاءها على عاتق سواه . فعزمت على ان استكشفَ الحقيقة مهما اقتضتهُ من عناء ومال ، لأنَّ الصحافي الماهر هو مَن بذل جهدهُ لمعرفة الحقائق ، ثم سبق الى نشرها ؛ وانما بهذين اشتهرت « الأيَّام » ومشت في طليعة الجرائدِ العربيَّة الكبرى

أمّا شكوكي فبدأت حيث بدأ اقتناع النيابة العمومية . هي كانت ترى كلّ شيء ايجاباً في حين كنت أراهُ أنا سلباً . فغيرة فؤاد وتهديدهُ ، وسهرهُ وقلقهُ ، ورسالتهُ الى والديهِ ، وسفرهُ الى الاسكندرية ، وعزمهُ على مغادرة القطر ، كانت جميعها

دلائل وقرائن عليهِ في نظر مَن يأخذ الأمور بظواهرها . غير انَّ النيابة ذهب عن بالها ان تبحث ، في الدرجة الأولى ، عن الطريق التي سلكها فؤاد الى الغرفة النائمة فيها أدماء حتى تمكَّن من ارتكاب الجناية . أمَّا أنا فلم أغفل هذا الأمر قط ، فقد عرفتُ أنَّ الخواجه فرج الله أقفل بيدهِ باب المنزل قبل أن نام ، وترك المفتاح في ثقب الغال من الداخل . ثمَّ علمت انَّ الخادمة ، لمَّا أفاقت في الصباح ، وجدت الباب مفتوحاً فاستنكرت ذلك كما استنكرهُ سيّدهــا والخواجه سليم ايضاً . ولو تنبَّهَ رجال التحقيق الى انَّ الغال لا يمكن فتحهُ بمفتاحٍ من الخارج ، ما دام انَّ المفتاح متروك في ثقبهِ من الداخل ، لأدركوا مثلي أنَّ الجاني إمَّا أن يكون غريباً ، وإمَّا أن يكون بعضَ أهل أدماء . فان كان الأوَّل اقتضى أن يكون لهُ شريك ممَّن في المنزل فمكَّنهُ من الدخول ؛ وإن كان الآخر وجب ان يكون أحد اثنين : إمَّا الخادمة ، وإمَّا الخواجه سليم . وأمَّا أن يكون الجاني قد دخل البيت من غير بابهِ فما لم يكن معقولاً قط لأن العلوَّ شاهق جدًّا ، والبيت مطلٌّ من جميع جهاتهِ على الشوارع المنارة حيث الخفراء والمارَّة لا يبرحون بين رواحٍ ومجيءٍ . أضِفْ الى هذا كلهِ انَّ البرد كان قارساً في تلك الليلة ، وأن النوافذ جميعها بقيت مقفلةً حتى الصباح

ولما تشبَّعت من هذهِ الحقائق بحثت عن سيرة الخادمة مُنقباً مستقصياً فعرفت أنها قديمة العهد في منزل الخواجه فرج الله ، وأنها اعتنت بادماء بعد وفاة والدتها ، وحنَت عليها كما لو كانت أمَّها الحقيقية ، وأحبَّتهــا باخلاصٍ شديد ، فكانت لها خادمةً وأمًّا وصديقةً معاً . أوَ بعد هذا ما يستوقف شبهاتي عليها ؟ ولكنني وقعت حينئذٍ في حيرةٍ شديدة : فلا ظنوني بواقفة عنــد الخواجه فرج الله ، ولا شكوكي بمنتقلةٍ الى الخواجه سليم . ذلك والدٌ وهذا خطيبٌ وابن عمّ

فمن الجاني اذاً ؟ أشيطانٌ من جهنم ، أم ملكٌ من السماء ؟ ؟

ولقد حاولت كثيراً أن أذهب مذهبَ النيابة العمومية في اتّهام فؤاد اليافي فلم

استطع . وزادني تشبثاً في رأيي هذا أنَّ فؤاداً لم ينكر الجريمة كلَّ الانكار فقط ، بل بكى بُكاءً مرًّا حين درى بها اشفاقاً منهُ وحناناً على ادماء . وقد جرَّب اقناع رجال التحقيق بأنَّ تهديدهُ لحبيبتهِ لم يكن الاَّ تهديداً كاذباً حاول ان يتعلَّق بهِ ، وهو آخر سلاح كان قد بقيَ لهُ ، كما يحاول الغريق التعلُّق بالطحلب في الماء ، وان عزمهُ على السفر لم يكن الاَّ يأساً وقنوطاً لأن نفسه لم تكن تطيق ان يرى أدماء لسواه . على انَّ كلَّ ذلك لم يفدهُ شيئاً ، بل أحالتهُ النيابة العمومية على محكمة الجنايات ليحاكم أمامها كقاتل متعمد . وراجعتُ نفسي مراراً في اتهام الخواجه سليم خوري فما ازددتُ الاَّ اعتقاداً بكونهِ الجاني الاثيم . فقد تبيَّنتُ أموراً جديرةً بالاعتبار ، أغفل وكيل النيابة بعضها ، وحملَ بعضها الآخر على محامل شتى . من ذلك : أنَّ الخادمة عرفت السكّين التي طُعنت بها أدماء أنها سكّين مطبخها ، مما دلَّني على أنَّ اليد التي استعملتها وصلت الى مكانها بدون عناء . وهل يُعقل أنَّ قاتلاً متعمداً يجيءُ ليقتل، تحت جنح الليل، فيجيءُ بدون سلاح على نيَّةٍ أن يجد لهُ سلاحاً ما في المكان الذي نوى الجناية فيهِ ؟ ومن ذلك انَّ الجاني كان على يقينٍ من ان ادماء لا تقفل بابها من الداخل في الليل. وانَّى لغريبٍ عن المنزل أن يكون على بيّنةٍ من هذا الأمر ؟ ومن ذلك أيضاً انَّ سليماً كان يحسَب الطعنة قاتلة ؛ فلما فاجأهُ الطبيب بقولهِ إنَّ ادماء حيَّة لم تمت ، أجفل في مكانهِ اجفال مؤملٍ بوغِتَ بضياع أملهِ . ومن ذلك أخيراً انَّ سليماً كان أشدَّ الشهود رغبةً في القاء التهمة على فؤاد . وكانت هذهِ الرغبة تبدو عليهِ في أقوالهِ وحركاتهِ جميعها . فكلُّ ذلك قوَّى اعتقادي بأنَّ اليد التي جنت انما هي يدُ سليم دون سواه . ولكنَّ إقدامي على اتهام الرجل في « الأيام » كان محفوفاً بالخطر . فالبيّنات على خطورتها كان يمكن دحضها بمثلها . ولذلك عوَّلت بعد التفكير الطويل على كتمان شكوكي في نفسي ، مع مواصلة التحرّي الدقيق . وكان أوَّل خاطر خطر لي أن ابحث عن ماضي سليم وتاريخه

الترنسفال . فأرسلت رسالةً برقية الى زميلي صاحب جريدة « جوهنسبورج دايلي نيوز » في مدينة جوهنسبورج أطلعتهُ فيها على دخائل نفسي وطلبت اليهِ ، بما للزميل على الزميل من الحقوق ، أن يوقفني على حقيقة سليم ؛ فجاءني تلغراف منهُ بعد أيام قصيرة محتوياً على هذه الكلمات « شكوك في محلّها . التفصيل مع البريد »

وكانت ادماء في خلال هذه المدة قد تماثلت للشفاء ، وأخذت تعاودها العافية على مهل . اما شهادتها لدى وكيل النيابة العمومية فكانت قاصرة على أنها بادلت فؤاداً المحبة ووعدتهُ بالزواج ، ولكنها أُكرهت على النكث بعهدها أمام ارادة والدها وإلحاحهِ الشديد وقد أطلعت خطيبها سليماً على علاقاتها السابقة بفؤاد ولم تكتمهُ شيئاً منها . ولما جاءتها رسالة التهديد لم تحفل بها كثيراً . ثم نامت ولم تدرِ ما جرى كيف جرى

وأقمتُ انتظر بريد الترنسفال وأنا على مثل الجمر حتى وردت عليَّ بعد مضيّ شهر الرسالة التي نبّئت بها تلغرافيًا ، فنشرتها في « الأيام » وعلّقتُ عليها خواطري وظنوني وخلاصة هذه الرسالة ما يأتي : انَّ الخواجه سليم خوري ، الحمويّ الأصل والنشأة ، هاجر الى الترنسفال منذ عشر سنوات لم يأتِ في خلالها عملاً نافعاً قط ، بل كان على العكس من ذلك فاسد السيرة ، سافل الأخلاق . وقد حكمت عليهِ محاكم جوهنسبورج ثلاث مرّات لثلاث جرائم ارتكبها كانت خاتمتها سرقة قضى أربع سنوات محبوساً من أجلها ، ولما أُخرج من السجن علق بفتاةٍ روميةٍ مجهولة النسب فتزوَّجها . وكان يُحبّها حبًّا عظيماً ورزق منها ابنتين وولداً ذكراً

هذا مجمل ما حوتهُ الرسالة . أمّا النيابة العمومية فاستدعت سليماً اليها على أثر ما نشرتهُ « الأيام » ولم تزل بهِ حتى أقرَّ بأنهُ هو الذي ارتكب الجناية التي اتّهم بها فؤاد افندي اليافي . قال انهُ نكب في الترنسفال بالفقر المدقع ولم يكن يعلم انَّ عمّهُ يملك ثروة كبيرة في مصر . وقد كتب عمّهُ اليهِ في الزمن الأخير ملحًّا عليهِ بأن

يجيءُ القطر المصري فيزوّجهُ بابنتهِ الوحيدة فتتحوّل اليهِ ثروة طائلة . فحار في أمرهِ بين أن يأبى وأن يقبل فإنَّ زواجهُ السابق في جوهنسبورج يحول دون زواجهِ الآخر في مصر وانَّ حبَّهُ لزوجتهِ وأولادهِ يمنعــهُ من التخلّي عنهم رغم ما كان يمكن ان يعقب تخلّيهِ من الحوادث والمشاكل . ورأى من جهة أخرى انهُ اذا لم يأتِ مصر حرم مالاً وفيراً كان في اشدّ الحاجة اليهِ . لذلك وجد انَّ الطريقة المثلى ان يحتال على ثروة عمّهِ بكلّ انواع الحيل فإن لم تسعده هــذه ارتكب الجناية غير هيّاب ولا وجل . وساعده على تحقيق امانيّهِ وجودُ العلاقات الحبيَّة بين ادماء وفؤاد اليافي وتجاور بيتيهما . فأقام يترصد فرصة مناسبة لاغتيال الفتاة بدون ان يكون موضعاً للشبهات ولكنهُ احجم اكثر من مرَّة عن ارتكاب الجناية حتى كانت ليلة الزواج وقد اطلعتهُ ادماء على رسالة فؤاد التهديدية فلم يجد خيراً من تلك المناسبة ؛ فأشار على ابنة عمهِ بوجوب الاحتفاظ بالرسالة ، على نية ان يجعلها مرشداً لرجال التحقيق ، ودليلاً يصرف شبهاتهم عنه الى فؤاد ، وقد فتح الباب ليوهم دخول القاتل منهُ ، وهو يحسب ان رسالة التهديد وفتح الباب دليلان كافيان لاثبات التهمة

. . . .

واشتهر بين الناس فضلي باستكشاف حقيقة هذه الجناية فأكبر الجميع عملي ، واعلن ولاة الأمر شكرهم لي . اما انا فلم يسرَّني هذان الإكبار والشكر بقدر ما سرَّني زواج فؤاد افندي اليافي بادماء كريمــة الخواجه فرج الله خوري . وكان ذلك على اثر صدور الحكم على سليم الجاني بالاشغال الشاقة

وسيم الربّانه
صاحب جريدة الايام
ورئيس تحريرها